

وَعَضِبَ الْجَبَّارُ مِنْ جَرَاءَةِ مُوسَى وَقَالَ فِي عُلوٍّ  
وَكِبَرٍ:

مَنْ تَكُونُ أَيُّهَا الشَّابُّ حَتَّى تَقُومَ فِي مَجْلِسِي  
وَتَعْظُمَنِي. أَلَسْتَ ذَلِكَ الْغُلَامُ الَّذِي التَّقَطَّنَاهُ مِنَ الْبَحْرِ؟!

﴿أَلَمْ نَرْبِكَ فِيْنَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِيْنَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾.

﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩).

وَلَمْ يَغْضَبْ مُوسَى وَلَمْ يَكْذِبْ وَلَمْ يَجْحَدْ وَلَمْ يَعْتَذِرْ  
بَلْ أَجَابَ فِي صَرَاحَةٍ وَوَقَارٍ.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا

خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢١).

وَقَالَ مُوسَى: إِنَّكَ يَا فِرْعَوْنُ تَمُنُّ عَلَيَّ بِالتَّرْبِيَةِ وَلَكِنْ

لَا تَنْظُرُ لِمَاذَا وَقَعْتُ بِيَدِكَ وَكَيْفَ أُمْكِنَكَ أَنْ تُرَبِّينِي؟.

إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَأْمُرْ بِقَتْلِ الْأَطْفَالِ لَمَّا أَلْقَيْتَنِي أُمِّي فِي

النَّيْلِ وَمَا وَقَعْتُ بِيَدِكَ.

وَهَلْ هَذِهِ نِعْمَةٌ تُعَدُّ وَتُذَكَّرُ فِي جَنْبِ ظُلْمِكَ

وَقَسَاوَتِكَ؟

إِنَّكَ عَامَلْتَ قَوْمِي كُلَّهُمْ مُعَامَلَةَ الْحَمِيرِ وَالذَّوَابِّ .  
 وَكُنْتَ تَرْجُرُهُمْ زَجَرَ الْكِلَابِ .  
 وَكُنْتَ تَسُوْمُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ .  
 فَأَيُّ فَضْلٍ لَكَ إِذَا كَفَلْتَ طِفْلاً مِنْهُمْ؟! وَذَلِكَ أَيْضاً  
 عَنْ جَهْلِ وَخَطَا! ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿٢٧﴾ .

## ٢١ - الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ

وَعَجِزَ فِرْعَوْنُ وَلَمْ يَجِدْ جَوَاباً، فَأَرَادَ أَنْ يَتَخَلَّصَ  
 فَقَالَ:

﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الَّذِي أَسْمَعُكَ تَذَكُّرُهُ؟  
 ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ .  
 غَضِبَ فِرْعَوْنُ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ وَأَرَادَ أَنْ يَغْضَبَ  
 أَهْلَ الْمَجْلِسِ وَيَتَعَجَّبُوا .

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾؟! !!  
 وَلَمْ يَقْطَعْ مُوسَى الْكَلَامَ بَلْ ضَرَبَ فِرْعَوْنَ ضَرْبَةً ثَانِيَةً .

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ .

وَاشْتَدَّ غَضَبُ فِرْعَوْنَ وَلَمْ يَضْبِرْ وَقَالَ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ  
الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ .

وَلَمْ يَقْطَعْ مُوسَى الْكَلَامَ وَضَرَبَ فِرْعَوْنَ ضَرْبَةً ثَالِثَةً .  
﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ .  
وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَشْغَلَ مُوسَى عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ  
الْمُرِّ .

وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُشِيرَ غَضَبَ مَلِيئِهِ .  
فَقَالَ: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ ؟!  
قَالَ فِرْعَوْنُ فِي نَفْسِهِ: إِذَا قَالَ مُوسَى إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى  
الْحَقِّ .

قُلْتُ: فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ!  
وَإِذَا قَالَ مُوسَى إِنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَلَالَةٍ وَسَفَاهَةٍ،  
غَضِبَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ وَقَالُوا إِنَّ مُوسَى سَبَّ آبَاءَنَا .  
وَلَكِنَّ مُوسَى كَانَ أَغْقَلَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَكَانَ مُوسَى عَلَى  
نُورٍ مِنْ رَبِّهِ، فَقَالَ:

﴿عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ .  
 ثُمَّ أَنشَأَ مُوسَى يَقُولُ مَا كَانَ فِرْعَوْنُ يَفِرُّ مِنْهُ  
 وَيَتَخَلَّصُ :

﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا  
 وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ .  
 وَتَحَيَّرَ فِرْعَوْنُ وَبُهِتَ وَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ فَقَالَ مَا تَقُولُهُ  
 الْمُلُوكُ كُلُّهُمْ إِذَا عَجَزُوا وَغَضِبُوا .  
 ﴿قَالَ لَيْنِ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٢٩) .

## ٢٢ - مُعْجَزَاتُ مُوسَى

وَلَمَّا أَطْلَقَ فِرْعَوْنُ سَهْمَهُ، أَرَادَ مُوسَى أَنْ يَرْمِيَهُ  
 بِسَهْمِ اللَّهِ .

﴿قَالَ أُولَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ (٣٠) ﴿؟!  
 ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣١) .  
 ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ .  
 ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِينَ﴾ (٣٨) .

وَوَجَدَ فِرْعَوْنُ مَقَالًا يَقُولُهُ لِيُجْلَسَائِهِ .

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ .

وَوَافَقَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ .

﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ

السَّحِرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ .

وَرَمَى فِرْعَوْنُ مُوسَى بِسَهْمٍ آخَرَ فَقَالَ :

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَصًا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمَا

الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ .

وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُخَوِّفَ الْمَلَأَ مِنْ مُوسَى فِعْلَ الْمُلُوكِ .

فَقَالَ : ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا

تَأْمُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ .

أَشَارَ الْمَلَأُ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَجْمَعَ السَّحَرَةَ مِنْ مَمْلَكَتِهِ

وَيُرْمِيَ بِهِمْ مُوسَى .

وَهَكَذَا كَانَ : نُودِيَ فِي مَمْلَكَةِ مِصْرَ «أَلَا مَنْ كَانَ

يَعْرِفُ السَّحْرَ فَلْيَحْضُرْ إِلَى الْمَلِكِ» .

وَاجْتَمَعَ السَّحَرَةُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاجِي الْمَمْلَكَةِ .

وَكَانَ يَوْمُ الزَّيْنَةِ هُوَ الْمِيعَادَ.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾؟.

### ٢٣ - إِلَى الْمَيْدَانِ

وَتَرَى النَّاسَ يَخْرُجُونَ مِنْ بُيُوتِهِمْ ضَحَى! وَيَمْشُونَ إِلَى الْمَيْدَانِ أَفْوَاجاً.

وَيَمْشُونَ إِلَى الْمَيْدَانِ أَطْفَالاً، وَشُبَّاناً وَشُيُوخاً، وَرِجَالاً وَنِسَاءً.

وَلَمْ يَتَّقْ فِي الْبَيْتِ إِلَّا مَرِيضٌ أَوْ عَاجِزٌ.  
وَلَا تَسْمَعُ فِي الْمَطَرِيَّةِ<sup>(١)</sup> إِلَّا حَدِيثَ السُّحْرِ وَأَسْمَاءَ السَّحَرَةِ.

هَلْ جَاءَ سَاحِرُ أَسْوَانَ<sup>(٢)</sup> الْأَكْبَرُ أَيْضاً؟  
نَعَمْ وَسَاحِرُ الْأَقْصَرِ<sup>(٣)</sup> وَسَاحِرُ الْجِيزَةِ<sup>(٤)</sup> الشَّهِيرُ!

(١) قصبة مصر أيام الفراعنة.

(٢)(٣)(٤) مدن مصر القديمة.

مَاذَا تَرَى يَا أَخِي مَنْ يَغْلِبُ؟  
إِنَّ مِصْرَ قَدْ أَلْقَتْ أَفْلَادَ كِبِدِهَا تَرَى يَغْلِبُهُمْ أَحَدٌ!  
وَكَيْفَ يَغْلِبُهُمْ مُوسَى وَأَخُوهُ وَأَيْنَ تَعْلَمَا السَّحْرَ؟  
نَشَأَ فِي قَصْرِ الْمَلِكِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مِصْرَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ  
وَكَانَ فِي مَدِينِ سِنِينَ.  
فَأَيْنَ تَعْلَمَا السَّحْرَ؟  
أَفِي مِصْرَ؟ لَا!

أَفِي مَدِينِ؟ مَا سَمِعْنَا أَنَّ هُنَالِكَ فَنَاءُ!  
وَجَاءَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَهُمْ بَيْنَ يَأْسٍ وَرَجَاءٍ وَلَعَلَّ  
الْيَأْسَ أَغْلَبَ، اللَّهُ يَرْحَمُ ابْنَ عِمْرَانَ! اللَّهُ يَنْصُرُ بَنِي  
إِسْرَائِيلَ.

وَجَاءَ السَّحَرَةُ وَأَقْبَلُوا بِخِيَلِهِمْ وَفَخَرَهُمْ.  
وَخَرَجُوا فِي مَلَابِسٍ مُلَوَّنَةٍ وَخَرَجُوا يَحْمِلُونَ الْعِصِيَّ  
وَالْحِبَالَ.

وَخَرَجُوا يَضْحَكُونَ وَيَمْرَحُونَ، الْيَوْمَ يَوْمَ الْفَنِّ!  
الْيَوْمَ يَرَى الْمَلِكُ صَنِيعَنَا، الْيَوْمَ يَرَى الْقَوْمُ فَضْلَنَا!

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ  
الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾﴾ .

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ .  
وَهَذِهِ هِيَ جَائِزَةُ الْمُلُوكِ ! وَهَذَا عَطَاءُ الْمُلُوكِ !  
وَهَذَا الَّذِي يُخْدَعُ بِهِ الرِّجَالُ ! وَهَذَا الَّذِي يُصَادُ بِهِ  
الْأَبْطَالُ !  
وَفَرِحَ السَّحَرَةُ بِمَوَاعِيدِ فِرْعَوْنَ .

## ٢٤ - بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ .  
﴿فَالْقَوْمُ جِبَاهُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ  
الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ .

وَرَأَى النَّاسُ عَجَبًا، حَيَّاتٌ تَسْعَى فِي الْمِيدَانِ، وَدُهِشَ  
النَّاسُ وَتَرَا جَعُوا إِلَى الْخَلْفِ وَهَتَفُوا: حَيَّاتٌ! حَيَّاتٌ!  
وَصَاحَتِ النِّسَاءُ وَبَكَتِ الْأَطْفَالُ وَعَلَا الْهَتَافُ فِي  
الْمِيدَانِ: حَيَّاتٌ! حَيَّاتٌ!



وَرَأَى مُوسَى مَا رَأَى النَّاسُ وَتَعَجَّبَ ﴿فَإِذَا جِبَاهُهُمْ  
وَعَصِيَّتُهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ .

وَحَاطَرَ فِي قَلْبِ مُوسَى خَاطِرُ خَوْفٍ! وَلِمَاذَا لَا  
يَخَافُ مُوسَى؟

هَذَا يَوْمُ الرَّهَانِ! وَعِنْدَ الْاُمْتِحَانِ يُكْرَمُ الرَّجُلُ أَوْ  
يُهَانُ!

وَإِذَا غَلَبَ السَّحَرَةُ - لَا قَدَّرَ اللَّهُ ذَلِكَ .

وَإِذَا غَلَبَ مُوسَى - لَا سَمَحَ اللَّهُ بِذَلِكَ .

فَمَاذَا يَكُونُ؟ الْعِيَاذُ بِاللَّهِ!!

وَلَيْسَ غَلَبُ مُوسَى غَلَبَ رَجُلٍ، بَلْ هُوَ غَلَبُ دِينٍ  
أَمَامَ مَلِكٍ .

بَلْ هُوَ غَلَبُ حَقٍّ أَمَامَ بَاطِلٍ .

لَا قَدَّرَ اللَّهُ ذَلِكَ! لَا سَمَحَ اللَّهُ بِذَلِكَ!

وَلَكِنَّ اللَّهَ شَجَّعَهُ وَقَالَ:

﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ .

﴿وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٌ  
وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (٦٩).

﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ  
لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ يَكَلِّمُنِيهِ وَلَوْ كَرِهَ  
الْمُجْرِمُونَ﴾ (٨٢).

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (٤٥).

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١٨).

ودَهَشَ السَّحَرَةُ وَبُهْتُوا.

أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟ إِنَّا نَعْرِفُ السِّحْرَ وَأَضْلَهُ وَإِنَّا نَعْرِفُ  
السِّحْرَ وَأَنْوَاعَهُ.

وَنَحْنُ أَسَاتِذَةُ الْفَنِّ! وَنَحْنُ أَيْمَةُ الْفَنِّ!

هَذَا لَيْسَ مِنَ السِّحْرِ! هَذَا لَيْسَ مِنَ السِّحْرِ!

لَوْ كَانَ مِنَ السِّحْرِ لَضَرَبْنَا السِّحْرَ بِالسِّحْرِ وَقَرَعْنَا  
الْفَنَّ بِالْفَنِّ!

وَلَكِنْ اضْمَحَلَّ فَنُّنَا أَمَامَ هَذَا، وَذَابَ كَمَا يَذُوبُ  
النَّدَى أَمَامَ الشَّمْسِ.

فَمِنْ أَيْنَ هَذَا؟ هَذَا مِنَ اللَّهِ!  
 اقْتَنَعَ السَّحَرَةُ بِأَنَّ مُوسَى نَبِيٌّ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ مَنَحَهُ  
 مُعْجِزَةً فَصَرَخُوا وَهَتَفُوا:  
 ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾.  
 ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ  
 ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾. ﴿١٢٢﴾

## ٢٥ - وَعِيدُ فِرْعَوْنَ

وَجُنَّ جُنُودُ فِرْعَوْنَ!  
 وَقَامَ فِرْعَوْنُ وَقَعَدَ وَبَرَقَ فِرْعَوْنُ وَرَعَدَ.  
 مَسْكِينُ فِرْعَوْنُ وَقَعَ مَا لَمْ يَكُنْ يَرْجُوهُ!  
 إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَهْزِمَ مُوسَى بِالسَّحَرَةِ فَأَصْبَحَ السَّحَرَةُ جُنْدَ  
 مُوسَى.  
 إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَصُدَّ النَّاسَ عَنْ مُوسَى فَجَاءَ بِالسَّحَرَةِ  
 فَإِذَا بِهِمْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ!  
 إِنَّ سِهَامَهُ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ.

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَلِكُ الْعُقُولِ كَمَا أَنَّهُ مَلِكُ  
الْأَجْسَامِ.

وَأَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْقُلُوبِ كَمَا أَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى  
الْأَلْسِنَةِ.

وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي مِصْرَ أَنْ يَعْتَقِدَ شَيْئًا أَوْ يُؤْمِنَ بِشَيْءٍ  
إِلَّا بِإِذْنِهِ فَقَالَ فِي كِبَرٍ وَجَبْرُوتٍ.

﴿ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ ١٢!

وَرَمَاهُمْ فِرْعَوْنُ بِسَهْمٍ مِنْ سِهَامِ الْمُلُوكِ فَقَالَ:

﴿إِنَّهُ لَكَيْدُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾!

وَرَمَاهُمْ بِسَهْمٍ ثَانٍ فَقَالَ:

﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾!!

وَرَمَاهُمْ بِسَهْمٍ ثَالِثٍ مَسْمُومٍ هُوَ السَّهْمُ الْأَخِيرُ فِي  
كِتَابَةِ الْمُلُوكِ.

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَقْصِبَنَّكُمْ

أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾.

وَتَلْقَى الْمُؤْمِنُونَ السَّهَامَ كُلَّهَا بِجَنَّةِ الْإِيمَانِ وَالصَّبْرِ  
وَقَالُوا:

﴿لَا صَبْرَ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥١).

وَقَالُوا فِي إِيْمَانٍ وَحِمَاسَةٍ:

﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنْ  
السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (٧٣) ﴿إِنَّهُمْ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُمْ مُّجْرِمًا فَإِنَّ لَهُمْ  
جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (٧٤) ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ  
الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ (٧٥) ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٧٦).

## ٢٦ - سَفَاهَةُ فِرْعَوْنَ

وَاهْتَمَّ فِرْعَوْنُ بِأَمْرِ مُوسَىٰ كَثِيرًا وَطَارَ نَوْمُهُ.

وَبَقِيَ فِرْعَوْنُ لَا يَطِيبُ لَهُ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ.

وَأَثَارَ غَضَبِهِ الْآخَرُونَ أَيْضًا وَقَالُوا:

﴿أَنْذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ (١٩)!

وَعُصِبَ فِرْعَوْنُ وَثَارَ .

﴿قَالَ سَنَقْلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ .

وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَصُدَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَهْلَ مِصْرَ عَنْ مُوسَى بِكُلِّ حِيلَةٍ .

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَتَقَوَّمُ آلِيَّ إِلَى مَلِكِ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٥١) .

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مِثْلُي وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ !

وَقَالَ فِرْعَوْنُ فِي رَزَانَةٍ وَجِلْمَ :

﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ !!

كَأَنَّهُ فَتَشَّ كَثِيرًا وَفَكَّرَ كَثِيرًا وَنَصَحَ لِقَوْمِهِ .

وَقَالَ فِي سَفَاهَةٍ وَجُنُونٍ :

﴿فَأَوْقَدْ لِي يَكْهَمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي

أُطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأُظَنُّهُ مِنْ الْكَاذِبِينَ﴾

وَأَوْقَدْ هَامَانُ عَلَى الطِّينِ ، وَبَنَى صَرْحًا وَلَكِنْ إِلَى

أَيْنَ؟ تَعِبَ هَامَانُ وَتَعِبَ الْبَنَّاؤُونَ وَنَفِدَ الطِّينُ وَالْأَجْرُ .

وَلَا يَزَالُ فِرْعَوْنُ بَعِيداً لَمْ يَصِلْ إِلَى السَّحَابِ فَضْلاً  
عَنِ الْقَمَرِ .

وَلَمْ يَصِلْ إِلَى الْقَمَرِ فَضْلاً عَنِ الشَّمْسِ .  
وَلَمْ يَصِلْ إِلَى الشَّمْسِ فَضْلاً عَنِ الْكَوَاكِبِ .  
وَلَمْ يَصِلْ إِلَى الْكَوَاكِبِ فَضْلاً عَنِ السَّمَاءِ .  
وَحَابَ فِرْعَوْنُ وَخَجِلَ وَعَجَزَ فِرْعَوْنُ وَقَعَدَ .  
مُسْكِينٌ أَلَا يَذَرِي أَنَّ اللَّهَ ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ  
الْعُلَى ﴾ .

﴿ لَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ  
الْأَرْتِ ﴾ .

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾ .  
وَلَمْ يَجِدْ فِرْعَوْنُ حِيلَةً إِلَّا أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى وَحُجَّتُهُ أَنْ  
مُوسَى يُظْهِرُ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ .  
﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنَِّّي أَخَافُ  
أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ (١١) .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ١ - مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ

وَلَمَّا أَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُقْتَلَ مُوسَى قَامَ رَجُلٌ مِنْ آلِ  
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ وَقَالَ:

﴿أَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ  
مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

وَقَالَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ: لِمَذَا تَتَعَرَّضُونَ  
لِمُوسَى وَلِمَذَا تُؤْذُونَهُ؟

إِذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَاتْرُكُوهُ وَشَأْنُهُ وَخَلُّوا سَبِيلَهُ.

﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾.

وَإِذَا أَذِيتُمُوهُ وَوَقَعْتُمْ بِهِ وَكَانَ نَبِيًّا فَلَكُمْ الْوَيْلُ.

﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾.



وَيَا إِخْوَانِي لَا تَغْتَرُّوا بِمُلْكِكُمْ، وَلَا تَغْتَرُّوا بِقُوَّتِكُمْ  
وَجُنُودِكُمْ.

﴿يَقُومُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ  
يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا؟﴾!

وَكَانَ جَوَابُ فِرْعَوْنَ أَنْ قَالَ:

﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

وَأَرَادَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ أَنْ يُحَذِّرَ قَوْمَهُ سُوءَ الْعَاقِبَةِ  
وَمَصِيرَ الظَّالِمِينَ فَقَالَ:

﴿يَقُومُ إِلَيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ  
نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ (٣٦).

وَحَوِّفَهُمُ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَمَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ؟

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٦) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ

(٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)﴾.

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿فَلَا أَنْصَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

يَوْمَ يُنَادِي الْمَلِكُ الْجَبَّارُ: ﴿لَعَنَ الْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ  
الْوَحْدِ الْقَهَّارِ﴾.

يَوْمَ يَفْزَعُ النَّاسُ وَيَصْرُخُونَ، وَيُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا،  
وَيَوْمَ يُؤَلُّونَ مُذْبِرِينَ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ.  
فَقَالَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ:

﴿وَيَقُومُ إِلَيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلُّونَ  
مُذْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ  
هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾.

وَقَالَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَهَبَكُمْ نِعْمَةً  
وَلَكِنَّكُمْ مَا عَرَفْتُمْ فَضْلَهَا وَمَا قَدَّرْتُمُوهَا حَقَّ قَدْرِهَا حَتَّى  
إِذَا ذَهَبَتْ تَأْسَفْتُمْ عَلَيْهَا.

ذَلِكَ يُوسُفُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ الَّذِي مَا  
عَرَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَقْدِرُوهُ قُدْرَهُ.

وَلَكِنَّهُ لَمَّا مَاتَ قُلْتُمْ: سُبْحَانَ اللَّهِ نَبِيٍّ وَلَا كَيُوسُفَ.

مَلِكٌ وَلَا كَيُوسُفَ! رَجُلٌ وَلَا كَيُوسُفَ!

وَمَنْ لَنَا بِنَبِيِّ بَعْدَهُ؟! مَنْ لَنَا بِمِثْلِهِ؟!

أَبَدًا! لَنْ يَأْتِيَ مِثْلُهُ!

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾.

كَذَلِكَ تَفْعَلُونَ بَعْدَ هَذَا النَّبِيِّ أَيْضًا! وَتَنْدَمُونَ!

## ٢ - نَصِيحَةُ الرَّجُلِ

وَوَعِظَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ وَبَذَلَ لَهُمْ وَدَّهً وَنَصِيحَتَهُ.

﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَلْقَوْنَ أَتْبَاعُكُمْ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٣٨).

وَعَلِمَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ أَنَّ الْقَوْمَ فِي سَكْرَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَأَنَّ فِرْعَوْنَ مَغْرُورٌ بِمُلْكِهِ وَقُوَّتِهِ.

وَلَكِنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ حُلُمٌ مِنَ الْأَحْلَامِ وَأَنَّ الدُّنْيَا ظِلٌّ زَائِلٌ.

وَعَرَفَ الرَّجُلُ مَا يَمْنَعُ الْقَوْمَ مِنْ أَتْبَاعِ مُوسَى،

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ سُكَارَىٰ بِسَكْرَةِ الدُّنْيَا .  
 وَالسَّكَرَانُ مَا يَسْمَعُ وَمَا يَشْعُرُ .  
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ حَيْثُ لَا يَسْمَعُونَ صَوْتَ مُوسَى .  
 فَأَرَادَ أَنْ يُنَبِّهَهُمْ مِنْ غَفْلَتِهِمْ فَقَالَ :  
 ﴿يَقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ  
 دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ .

وَطَفِقَ الْجُهَّالُ مِنْ قَوْمِهِ يَدْعُونَهُ إِلَى الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ  
 وَيَدْعُونَهُ إِلَى دِينِ الْآبَاءِ .  
 فَإِذَا قَالَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ! قَالُوا لَهُ ارْجِعْ إِلَى دِينِ  
 الْآبَاءِ!

وَلَمَّا بَالَغُوا فِي الدَّعْوَةِ قَالَ لَهُمْ :  
 ﴿يَقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى  
 النَّارِ ﴿٤١﴾﴾ .

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ  
 وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَرِ ﴿٤٢﴾﴾ .  
 وَقَالَ لَهُمُ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ: أَيُّ نَبِيِّ جَاءَ مِنْ آلِهَتِكُمْ؟

وَأَيُّ كِتَابٍ نَزَلَ؟ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ؟  
﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا  
مِنْ سُلْطَانٍ﴾.

وَهَؤُلَاءِ رُسُلُ اللَّهِ دَعَوْا إِلَى اللَّهِ، ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ ۖ  
وَيُوسُفُ وَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ! وَفِي كُلِّ مَكَانٍ لَهُ دَعْوَةٌ.  
﴿لَا جَرَمَ أَنْمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا  
فِي الْآخِرَةِ﴾.

وَلَمَّا يَسْسَ الرَّجُلُ مِنْ هِدَايَتِهِمْ وَسَيِّمَ الرَّجُلُ مِنْ  
بِلَادَتِهِمْ تَرَكَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ:

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ  
اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

وَغَضِبَ النَّاسُ وَأَرَادَ آلُ فِرْعَوْنَ أَنْ يَقْتُلُوهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ  
عَصَمَهُ وَأَهْلَكَ أَعْدَاءَهُ.

﴿فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ  
الْعَذَابِ﴾.

### ٣ - زوج فرعون

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَلِكُ الْعُقُولِ كَمَا أَنَّهُ مَلِكُ  
الْأَجْسَامِ.

وَأَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْقُلُوبِ كَمَا أَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى  
الْأَلْسِنَةِ.

وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي مِصْرَ أَنْ يَعْتَقِدَ شَيْئًا أَوْ يُؤْمِنَ بِشَيْءٍ  
إِلَّا بِإِذْنِهِ.

وَكَانَ إِذَا آمَنَ أَحَدٌ بِمُوسَى فِي أَقْصَى مَمْلَكَةِ مِصْرَ  
جُنَّ جُنُونُ فِرْعَوْنِ.

وَقَامَ فِرْعَوْنُ وَقَعَدَ، وَبَرَقَ فِرْعَوْنُ وَرَعَدَ.

وَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ بِمُوسَى قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَهُ؟!

يَعِيشُ فِي مَمْلَكَتِي وَيَعْصِيَنِي، وَيَأْكُلُ رِزْقِي وَيَكْفُرُنِي؟!

أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ رَجُلٍ فِي مِصْرَ مِنْ نَفْسِهِ!

وَيَنْسَى فِرْعَوْنُ أَنَّهُ يَعِيشُ فِي مَمْلَكَةِ اللَّهِ وَيَعْصِيهِ،

وَيَأْكُلُ رِزْقَ اللَّهِ وَيَكْفُرُ بِهِ.

وَأَرَاهُ اللَّهُ آيَةً فِي بَيْتِهِ، آيَةً فِي أَهْلِهِ.

أَرَاهُ اللَّهَ أَنَّهُ مَلِكُ الْعُقُولِ كَمَا أَنَّهُ مَلِكُ الْأَجْسَامِ .  
وَأَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْقُلُوبِ كَمَا أَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى  
الْأَلْسِنَةِ .

وَأَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَهْلِهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ يَحُولُ  
بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ .  
دَخَلَ الْإِيمَانُ فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ ، وَلَا  
يَمْلِكُ شَيْئًا .

وَأَمَنْتُ امْرَأَةً فِرْعَوْنَ بِاللَّهِ وَكَفَرْتُ بِفِرْعَوْنَ .  
وَأَمَنْتُ بِمُوسَى عَلَى رَغَمِ زَوْجِهَا مَلِكِ مِصْرَ .  
أَمَنْتُ بِمُوسَى أَعْلَمُ خَلْقِ اللَّهِ بِفِرْعَوْنَ وَأَحَبُّ النَّاسِ  
إِلَيْهِ .

وَلَمْ يَضْنَعْ شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ شَيْئًا ، وَلَمْ يَشْعُرُوا بِذَلِكَ  
وَلَهُمْ شَامَةُ النَّمْلِ وَعُيُونُ الْغَرَابِ .  
وَلَمْ يَشْعُرْ بِذَلِكَ فِرْعَوْنُ وَهُوَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهَا .  
وَلَوْ عَلِمَ بِذَلِكَ فِرْعَوْنُ مَاذَا فَعَلَ؟ إِنَّهُ يَمْلِكُ الْجِسْمَ  
وَلَكِنَّهُ لَا يَمْلِكُ الْعَقْلَ .

وَإِنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى اللِّسَانِ وَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْقَلْبِ  
سُلْطَانٌ.

عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تُطِيعَ زَوْجَهَا وَلَكِنْ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ  
فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ.

عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَ أَبَوَيْهِ وَأَنْ يَكُونَ بِهِمَا بَارًّا رَشِيداً  
وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَنْ يُطِيعَهُمَا فِي الشَّرِّ.

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا  
تُطِيعُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ  
إِلَى ثَمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّشُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾.

واستقامت امرأة فرعون على الإيمان، وكانت  
تعبُد الله في بيتِ عدوِّ الله.

وكانت تخاف الله وتتبرأ إلى الله ممَّا يعمل فرعون.  
ورضى الله عن امرأة فرعون وأنجاها الله من  
فرعون وعمليه وضربها الله مثلاً للمؤمنين لإيمانها  
وشجاعته.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ



رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ  
وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ .

#### ٤ - مِحْنَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَلَمَّا عَلِمَ النَّاسُ عَدَاوَةَ فِرْعَوْنَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، تَقَرَّبُوا  
إِلَى فِرْعَوْنَ بِعَدَاوَتِهِمْ وَإِذْأَتِهِمْ .

وَاجْتَرَأَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْأَطْفَالُ وَهَرَّتُهُمُ الْكِلَابُ .

فَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِحْنَةٌ جَدِيدَةٌ! وَفِي كُلِّ يَوْمٍ بَلِيَّةٌ نَازِلَةٌ .

وَمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُسَلِّيهُمْ وَيُوصِيهِمْ

بِالصَّبْرِ ، وَيَقُولُ لَهُمْ :

﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

وَسَمِعَ بَنُوا إِسْرَائِيلَ هَذِهِ الْمِحْنَةَ وَهَذَا الْأَذَى وَقَالُوا

لِمُوسَى :

لَمْ تَنْفَعْنَا شَيْئًا! لَمْ تُغْنِ عَنَّا شَيْئًا!

﴿قَالُوا أَوَدِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ .

وَلَكِنَّ مُوسَى لَمْ يَجْزَعْ! وَلَكِنَّ مُوسَى لَمْ يَيْأَسْ!  
﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي  
الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَقُومُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ  
مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٤﴾.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ  
﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٨٦﴾.

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَمْنَعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ،  
وَيَغْضَبُ إِذَا رَأَوْهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُصَلُّونَ لَهُ.

وَكَانَ يَمْنَعُهُمْ مِنْ أَنْ يَتَّخِذُوا مَسَاجِدَ لِلَّهِ فِي أَرْضِهِ،  
وَكَانَ يَغْضَبُ أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ.

مَا أَجْهَلَ فِرْعَوْنَ! الْأَرْضُ لِلَّهِ لَا لِفِرْعَوْنَ!  
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ عَلَى  
أَرْضِ اللَّهِ؟!

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دَعَا إِلَىٰ عِبَادَتِهِ عَلَىٰ أَرْضِ اللَّهِ؟!

وَلَكِنَّ فِرْعَوْنَ مَا كَانَ يَقْدِرُ أَنْ يَمْنَعَ أَحَدًا يَفْعَلُ مَا  
يَشَاءُ فِي بَيْتِهِ!

فَأَمَرَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ مُوسَى: ﴿وَأَجْعَلُوا  
بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.

وَعَجِزَ فِرْعَوْنُ وَعَجِزَتْ شُرْطَتُهُ أَنْ يَحُولُوا بَيْنَ بَنِي  
إِسْرَائِيلَ وَعِبَادَةِ اللَّهِ!

وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ؟! وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمُسْلِمِ  
وَعِبَادَةِ اللَّهِ؟!

### ٥ - الْمَجَاعَاتُ

وَلَمَّا طَغَى فِرْعَوْنُ وَأَسْرَفَ فِي الْغَفْلَةِ وَالْعِنَادِ أَرَادَ اللَّهُ  
أَنْ يُنَبِّهَهُ.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ! إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ!

وَكَانَ فِرْعَوْنُ بَلِيدًا جَدًّا، ضَاعَتْ فِيهِ الْحِكْمَةُ  
وَالْمَوْعِظَةُ.

وَالْحِمَارُ لَا يَتَنَبَّهُ حَتَّى يُضْرَبَ!

فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُنَبِّهَهُ!

وَمِصْرُ بِلَادُ مُخْضِبَةِ خَضِرَاءُ، بِلَادُ الْخَيْرَاتِ وَالْأَثْمَارِ  
وَبِلَادُ الْحُبُوبِ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ كَيْفَ أَنْجَدَتْ مِصْرُ بِلَاداً بَعِيدَةً أَيَّامَ  
الْمَجَاعَةِ فِي عَهْدِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَكَيْفَ أَنْجَدَتْ مِصْرُ أَهْلَ الشَّامِ وَأَهْلَ كَنْعَانَ!  
وَالنَّيْلُ هُوَ الَّذِي يُرْوِي أَرْضَ مِصْرَ وَيَسْقِي زُرُوعَهُمْ.  
وَهُوَ مَنَبْعُ السَّعَادَةِ وَالْخَيْرِ فِي مِصْرَ.  
وَكَانَ فِرْعَوْنُ وَأَهْلُ مِصْرَ يَظُنُّونَ أَنَّ النَّيْلَ هُوَ مِفْتَاحُ  
الرِّزْقِ.

وَأَنَّ مِصْرَ غَنِيَّةٌ بِالنَّيْلِ عَنِ الْمَطَرِ وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ.  
وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الرِّزْقِ.  
وَأَنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ.  
وَأَنَّ النَّيْلَ يَجْرِي بِأَمْرِهِ وَيَفِيضُ بِأَمْرِهِ.  
وَأَمَرَ اللَّهُ النَّيْلَ فَغَاضَ مَائُوهُ وَذَهَبَ فِي الْأَرْضِ.

فَمَاذَا يَرُوي زُرُوعَ أَهْلِ مِصْرَ؟!  
نَقَصَتْ ثَمَرَاتُهُمْ وَنَقَصَتْ حُبُوبُهُمْ وَكَانَتْ مَجَاعَةٌ بَعْدَ  
مَجَاعَةٍ!

وَعَجِزَ فِرْعَوْنُ وَعَجِزَ هَامَانُ وَعَجِزَتْ شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ  
عَنْ كُلِّ حِيلَةٍ.

هُنَالِكَ عَلِمَ أَهْلُ مِصْرَ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَيْسَ رَبَّهُمْ، وَأَنَّ  
الرِّزْقَ بِيَدِ اللَّهِ!

وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَنْفَعِ فِرْعَوْنَ، وَلَمْ يَنْفَعِ أَهْلَ مِصْرَ وَلَمْ  
يَنْبَهُهُمْ!

وَحَالَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ وَالْعِبْرَةِ.  
قَالُوا هَذِهِ الْمَجَاعَاتُ وَهَذِهِ السَّنُونَ مِنْ شُؤْمِ مُوسَى  
وَقَوْمِهِ!

يَا لِلْعَجَبِ! أَلَمْ يَكُنْ مُوسَى مِنْ قَبْلُ؟! أَلَمْ يَكُنْ بَنُو  
إِسْرَائِيلَ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ؟!

بَلْ ذَلِكَ مِنْ شُؤْمِ أَعْمَالِهِمْ!! بَلْ ذَلِكَ مِنْ شُؤْمِ  
كُفْرِهِمْ!

وَعَانَدَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَقَالُوا إِنَّا لَا نَخْضَعُ لِهَذَا  
السُّحْرِ.

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ  
بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾.

## ٦ - خَمْسُ آيَاتٍ

وَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آيَةً أُخْرَى .  
أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمْطَارَ، فَفَاضَ النَّيْلُ .  
وَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ وَأَمْطَرْتُ وَأَمْطَرْتُ وَأَمْطَرْتُ .  
حَتَّى غَرِقَتِ الزُّرُوعُ وَالْحُقُولُ، وَتَلِفَتِ الْحُبُوبُ  
وَالثَّمَارُ .

وَعَادَ الْمَطَرُ عَلَيْهِمْ وَبَالًا .  
وَبَيْنَمَا هُمْ يَشْكُونَ قِلَّةَ الْمَاءِ إِذَا هُمْ يَشْكُونَ كَثْرَةَ  
الْمِيَاهِ .

ثُمَّ أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْجَرَادَ يَأْكُلُ الزُّرُوعَ وَالْحُقُولَ وَيَقَعُ  
عَلَى الْأَشْجَارِ فَلَا يَذَرُ مِنْهَا شَيْئًا .

وَعَجِزَتْ جُنُودُ فِرْعَوْنَ وَشُرْطَتُهُ عَنْ قِتَالِ جُنْدِ اللَّهِ.  
وَكَيفَ يُقَاتِلُونَهُ وَلَا تَعْمَلُ فِيهِ السُّيُوفُ وَلَا تَعْمَلُ فِيهِ  
السَّهَامُ.

هُنَالِكَ عَلِمَ أَهْلُ مِصْرَ ضَعْفَ فِرْعَوْنَ، وَعَجِزَ هَامَانَ،  
وَقِلَّةَ حِيلَةِ الشَّرْطَةِ.

وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْتَبِرُوا! وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَنَبَّهُوا!  
فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جُنْدًا آخَرَ، ذَلِكَ هُوَ الْقُمَّلُ.  
وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْقُمَّلُ، فَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! الْقُمَّلُ فِي  
الْفِرَاشِ، وَالْقُمَّلُ فِي الثِّيَابِ، وَالْقُمَّلُ فِي الرَّأْسِ،  
وَالْقُمَّلُ فِي الشَّعْرِ.

فَطَارَ نَوْمُهُمْ وَبَاثُوا يَقْصَعُونَ<sup>(١)</sup> الْقُمَّلَ وَيَسْبُونَهُ، حَتَّى  
يُضْبِحُوا.

وَكَيفَ يُقَاتِلُونَهُ وَالْقُمَّلُ لَا تَعْمَلُ فِيهِ السُّيُوفُ وَلَا  
تَعْمَلُ فِيهِ السَّهَامُ، وَلَا يُنْجِدُهُمْ فِي ذَلِكَ جُنُودُهُمْ  
وَشُرْطَتُهُمْ.

---

(١) قصع القملة بظفره: قتلها.

ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الضَّفَادِعَ، فِي الطَّعَامِ ضَفَادِعُ،  
 وَفِي الشَّرَابِ ضَفَادِعُ، وَبَيْنَ مَلَابِسِهِمْ ضَفَادِعُ.  
 وَسَمُّوا هَذِهِ الضَّفَادِعَ وَتَنَغَّصَ عَيْشُهُمْ.  
 وَانْتَشَرَتِ الضَّفَادِعُ وَفَشَتْ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْبَيْتِ.  
 تِلْكَ تَنَقُّ<sup>(١)</sup> وَهَذِهِ تَثْبُ هُنَا وَتِلْكَ تَقْفِزُ هُنَاكَ.  
 وَلَا يَقْتُلُونَ وَاحِدَةً إِلَّا وَتَأْتِي عَشْرٌ وَلَا يُخْرِجُونَ  
 وَاحِدَةً إِلَّا وَتَظْهَرُ خَمْسٌ كَأَنَّهَا تُوَلَّدُ فِي الْبَيْتِ.  
 عَجِزَتِ الْحُرَّاسُ وَعَجِزَتِ الشَّرْطَةُ عَنِ الضَّفَادِعِ.  
 وَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آيَةً خَامِسَةً، ذَلِكَ هُوَ الدَّمُ.  
 فَسَالَ الرُّعَافُ مِنْ أَنْفِهِمْ وَضَعُفُوا وَتَعَبُوا جِدًّا.  
 وَعَجِزَ الْأَطِبَّاءُ عَنِ الْعِلَاجِ وَلَمْ يَنْفَعَهُمْ دَوَاءٌ.  
 وَكُلَّمَا رَأَوْا آيَةً قَالُوا لِمُوسَى اذْعُ لَنَا رَبِّكَ أَنْ يَكْشِفَ  
 عَنَّا الْبَلَاءَ وَنُتُوبَ وَنُؤْمِنُ وَنُرْسِلَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.  
 فَلَمَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْبَلَاءَ نَكَثُوا عَهْدَهُمْ.

(١) تصوت.



﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَ  
تَ مَفْصَلَتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٧٧﴾﴾

## ٧ - الْخُرُوجُ

وَضَاقَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْضُ مِصْرَ وَهِيَ وَاسِعَةٌ.  
وَمَا يَصْنَعُونَ بِخَضِبِ مِصْرَ وَخَيْرَاتِهَا وَهُمْ فِي سِجْنٍ  
وَقُونَ كُلَّ يَوْمٍ صُنُوفًا مِنَ الْعَذَابِ وَالْهَوَانِ؟!  
إِلَى مَتَى يَصْبِرُونَ، أَلَيْسُوا بَنِي آدَمَ يَشْعُرُونَ بِالْأَذَى  
الْأَلَمِ؟!

وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ يَسْرِ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا  
يَخْرُجَ بِهِمْ مِنْ مِصْرَ.

وَأَحَسَّ بِذَلِكَ شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ وَلَهُمْ عُيُونُ الْغُرَابِ  
شَامَةُ النَّمْلِ وَأَخْبَرُوا بِذَلِكَ فِرْعَوْنَ.

سَارَ مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي اللَّيْلِ نَحْوَ الْأَرْضِ  
لِمُقَدَّسَةٍ وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ سِبْطًا كُلُّ سِبْطٍ عَلَيْهِ أَمِيرٌ.

وَالطَّرِيقُ إِلَى الشَّامِ طَرِيقٌ وَاضِحٌ مَعْلُومٌ، بَرٌّ يَصِلُ بَيْنَ

الْبَرَّيْنِ وَقَدْ جَاَزَهُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ<sup>(١)</sup>.  
وَلَكِنَّ مُوسَى أَرَادَ أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا وَكَانَ مَا  
أَرَادَهُ اللَّهُ.

أَخْطَأَ مُوسَى الطَّرِيقَ، وَحَيْثُ أَخْطَأَ مُوسَى أَصَابَ  
الْقَدْرُ.

ظَنَّ مُوسَى أَنَّهُ يَسِيرُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى جَانِبِ  
الشَّمَالِ.

فَإِذَا بِهِمْ فِي ظِلَامٍ اللَّيْلِ إِلَى جَانِبِ الشَّرْقِ<sup>(٢)</sup>.  
وَإِذَا بِهِمْ أَمَامَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ تَتَلَاظِمُ أَمْوَاجُهُ.  
يَا حَافِظُ! يَا سَاتِرُ! أَيْنَ نَحْنُ؟  
كَانَ الْجَوَابُ إِنَّا أَمَامَ الْبَحْرِ!  
وَالْتَفَتُوا إِلَى الْوَرَاءِ فَإِذَا بِغُبَارٍ سَاطِعٍ!  
وَإِذَا بِجُنْدٍ عَظِيمٍ قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ!  
هُنَالِكَ ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ.

---

(١) مرة ذهاباً إلى مدين، ومرة إياباً إلى مصر.

(٢) يحسن بالمعلم أن يستلفت الطلبة إلى خارطة مصر.

يَا ابْنَ عِمْرَانَ! مَاذَا أَنْكَرْتَ مِنَّا حَتَّى دَبَّرْتَ قَتْلَنَا!  
وَجِئْتَ بِنَا إِلَى شَطِّ الْبَحْرِ لِيَقْتُلَنَا فِرْعَوْنُ قُلْتَ الْفِيرَانِ  
حَيْثُ لَا فِرَارَ وَلَا نَجَاةَ.

لَا نَذْكُرُ إِلَيْكَ سُوءاً فَلِمَاذَا هَذَا الْإِنْتِقَامُ؟!  
أَلَمْ يَكْفِكَ مَا أَصَابَنَا مِنَ الْجُهِدِ وَالْبَلَاءِ لِأَجْلِكَ حَتَّى  
جِئْتَ بِنَا إِلَى هُنَا؟!  
هَآ هُوَ الْبَحْرُ أَمَامَنَا، وَهَآ هُوَ الْعَدُو وَرَاءَنَا، وَلَيْسَ  
لَنَا إِلَّا الْمَوْتُ!

هُنَالِكَ أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا فِي عُيُونِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَزَاغَتِ  
الْأَبْصَارُ وَاسْتَوَلَى الْيَأْسُ ثُمَّ خَفَّتِ الْأَصْوَاتُ.  
هُنَالِكَ تَزَلَزَلَ كُلُّ أَحَدٍ، وَحَقَّ لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ أَنْ  
تَتَزَلَزَلَ.

وَلَكِنَّ إِيْمَانَ مُوسَى بِرَبِّهِ لَمْ يَتَزَلَزَلْ وَسَمِعَ النَّاسُ  
صَوْتاً فِيهِ جَلَالُ النُّبُوَّةِ.

﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

وَأَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْبَحْرَ، فَضْرَبَ

فَانْفَلَقَ الْبَحْرُ وَقَامَ الْمَاءُ عَلَى كُلِّ جَانِبٍ كَالْجَبَلِ .  
وَإِذَا اثْنَا عَشَرَ طَرِيقًا لَاتْنِي عَشَرَ سِبْطًا لِكُلِّ سِبْطٍ  
طَرِيقٌ .

وَسَارَ الْقَوْمُ آمِنِينَ وَوَصَلُوا إِلَى بَرٍّ أَمْنٍ وَالسَّلَامِ .

## ٨ - غَرَقَ فِرْعَوْنُ

وَرَأَى فِرْعَوْنُ كَيْفَ سَارَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَعَبَرُوا الْبَحْرَ  
آمِنِينَ .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِبُجُنُودِهِ انْظُرُوا إِلَى الْبَحْرِ كَيْفَ انْفَلَقَ  
طَوْعًا لِأَمْرِي حَتَّى آخِذَ هَؤُلَاءِ الْفَارِّينَ .

وَتَقَدَّمَ فِرْعَوْنُ بِبُجُنُودِهِ، فَجَزَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مَرَّةً  
أُخْرَى .

هَا هُوَ الْعَدُوُّ هَا هُوَ الظَّالِمُ يُرِيدُ أَنْ يَعْْبُرَ الطَّرِيقَ  
إِلَيْنَا .

وَلَا يَمْنَعُهُ مِنَّا شَيْءٌ، وَسَيَلْحَقُنَا وَيَأْخُذُنَا إِلَى مِصْرَ  
مَأْسُورِينَ أَذِلَّاءَ أَوْ يَقْتُلُنَا فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ غُرَبَاءَ .

وَأَرَادَ مُوسَى أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْبَرَّ فَيَعُودُ بَحْرًا كَمَا  
كَانَ وَلَكِنْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: اتْرُكِ الْبَحْرَ سَاكِناً ﴿إِنَّهُمْ  
جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ .

وَلَمَّا وَصَلَ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ إِلَى عَرْضِ الْبَحْرِ (وَهُوَ  
بَرٌّ) انْطَبَقَ عَلَيْهِمْ .

وَلَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ الْجِدَّ زَالَتْ سَكْرَتُهُ .  
﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَاكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا  
الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ .

وَلَكِنْ هِيَ هَاتِ ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ  
السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ  
الْكَفَرَ﴾ .

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ  
ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ .

فَقِيلَ لَهُ: ﴿الْكَفَرَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ  
الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٩١﴾ .

وَمَاتَ فِرْعَوْنُ فِي الْبَحْرِ غَرَقًا .

مَاتَ الْجَبَّارُ الَّذِي قَتَلَ أُلُوفًا مِنَ الْأَطْفَالِ وَالرِّجَالِ  
حَاً وَخَنَقًا.

مَاتَ الطَّاغِيَةُ الَّذِي قَتَلَ أُلُوفَ آلَافٍ صَبْرًا وَشَنَقًا.  
مَاتَ مَلِكُ مِصْرَ بَعِيدًا عَنْ عَرْشِهِ بَعِيدًا عَنْ قَصْرِهِ،  
بَعِيدًا عَنْ سُلْطَانِهِ لَا طَبِيبٌ يُدَاوِيهِ وَلَا صَدِيقٌ يُوَاسِيهِ،  
لَا عَيْنَ تَبْكِيهِ.

وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي شَكٍّ عَنْ مَوْتِهِ يَقُولُونَ إِنَّ  
فِرْعَوْنَ لَا يَمُوتُ.

أَمَا كُنَّا نَرَاهُ يَقْضِي أَيَّامًا وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ؟!  
وَقَذَفَ الْبَحْرُ جُثَّتَهُ فَأَيَّقَنُوا بِمَوْتِهِ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِفِرْعَوْنَ ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ  
لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً﴾ وَكَانَتْ جُثَّتُهُ فِرْعَوْنَ آيَةً لِلنَّاظِرِينَ وَعِبْرَةً  
لِلْمُعْتَبِرِينَ.

وَعَرِقَ جُنْدُ فِرْعَوْنَ عَنْ آخِرِهِ وَمَا نَجَا مِنْهُمْ أَحَدٌ.  
وَحَلَفُوا مِصْرَ وَرَاءَهُمْ وَلَمْ يَجِدُوا فِي أَرْضِهَا الْوَاسِعَةِ  
ذِرَاعًا لِمَدْفِنٍ.

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكَهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

## ٩ - فِي الْبَرِّيَّةِ!

وَصَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرِّ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ وَتَنَفَّسُوا فِي هَوَائِهِ كَالْأَحْرَارِ الْأَشْرَافِ .

هُنَالِكَ لَا يَخَافُونَ فِرْعَوْنَ وَلَا يَخَافُونَ هَامَانَ وَلَا يَخَافُونَ شُرَطَتَهُ .

هُنَالِكَ يَمْشُونَ آمِنِينَ مُظْمِئِينَ لَا يَخْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ .

وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ الْحَضَرِ وَكَانَتِ الشَّمْسُ تُؤْذِيهِمْ فِي الْبَرِّيَّةِ .

وَكَانُوا ضُيُوفَ اللَّهِ! أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمُلُوكِ كَيْفَ يُكْرَمُونَ ضُيُوفَهُمْ؟!

وَكَيفَ يَضْرِبُونَ لَهُمُ الْخِيَامَ تَقِيهِمْ حَرَّ الشَّمْسِ؟!

إِنَّ كَرَامَةَ اللَّهِ فَوْقَ كُلِّ كَرَامَةٍ!

وَأَمَرَ اللَّهُ الْغَمَامَ أَنْ يُظِلَّهُمْ، فَكَانُوا يَمْشُونَ فِي ظِلِّ  
الْغَمَامِ، وَكَانَ الْغَمَامُ يَسِيرُ مَعَهُمْ حَيْثُ سَارُوا وَيَقِفُ  
أَيْنَمَا وَقَفُوا.

وَعَطَشَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَلَا مَاءَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَلَا نَهْرَ وَلَا  
بُيُوتَ.

ذَهَبُوا إِلَى مُوسَى، يَشْكُونَ إِلَيْهِ الْعَطَشَ كَمَا يَشْكُو  
الْطِّفْلُ إِلَى أُمِّهِ وَيَسْتَغِيثُهَا.

وَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ! وَمَنْ لَهُ غَيْرُهُ؟!

فَقَالَ: ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾.

﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ  
مَشْرِبَهُمْ﴾.

وَجَاعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَشَكُوا إِلَى مُوسَى الْجُوعَ كَمَا  
يَشْكُو الطِّفْلُ إِلَى أُمِّهِ وَيَسْتَغِيثُهَا.

وَقَالُوا إِنَّكَ أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ أَرْضِ الْفَوَاكِهِ وَالشَّمَرَاتِ  
وَأَرْضِ الْخَيْرَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ فَمَنْ لَنَا بِطَعَامٍ فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ؟



دَعَا مُوسَى رَبَّهُ! وَمَنْ لَهُ غَيْرُهُ؟! فَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ  
الطَّعَامَ.

أَنْزَلَ لَهُمْ عَلَى أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ مِثْلَ الْحَلْوَى، وَأَرْسَلَ  
إِلَيْهِمْ طَيْرًا يَأْخُذُونَهُ مِنَ الْأَشْجَارِ بِسُهُولَةٍ.  
ذَلِكَ هُوَ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى، ضِيَافَةُ اللَّهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ  
فِي الْبَرِّيَّةِ.

### ١٠ - كُفْرَانُ بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَفْسَدَ ذَوْقَهُمْ وَخُلِقَهُمُ الْعُبُودِيَّةُ  
الطَّوِيلَةُ.

وَكَانُوا لَا يَقْرُونَ عَلَى شَيْءٍ، وَكَانُوا لَا يَسْكُنُونَ إِلَى  
شَيْءٍ وَكَانُوا فِي طِبَاعِهِمْ أَطْفَالًا.

وَكَانُوا قَلِيلِي التَّشْكُرِ كَثِيرِي التَّشْكِي سَرِيعِي السَّامَةِ  
يُحِبُّونَ مَا مَنَعُوا وَيَكْرَهُونَ مَا أُعْطُوا.

وَلَمْ يَلْبَثُوا قَلِيلًا أَنْ قَالُوا لِمُوسَى قَدْ سَئِمْنَا هَذَا  
الطَّعَامَ الْوَاحِدَ، وَقَدْ سَئِمْنَا هَذَا اللَّحْمَ وَهَذِهِ الْحَلْوَى.

وَقَدْ اشْتَهَيْنَا الْخَضَرَ وَالْبُقُولَ .

﴿يَمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ .

تَعَجَّبَ مُوسَى مِنْ هَذَا السُّؤَالِ الْغَرِيبِ وَقَالَ بِصَوْتٍ فِيهِ الْإِنْكَارُ وَفِيهِ الاسْتِعْجَابُ وَفِيهِ الْعِتَابُ .

﴿أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾!؟

أَبْقُولًا وَخَضَرَ مَكَانَ طُيُورٍ وَحُلُوى لَمْ تَمَسَّهَا يَدُ  
إِنْسَانٍ!؟

أَطْعَامَ الْفَلَاحِينَ بَدَلَ طَعَامِ الْمُلُوكِ؟

يَا لَفَسَادِ الذَّوْقِ! يَا لَسُوءِ الْاِخْتِيَارِ!

وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَتَنَازَلُوا عَنْ سُؤَالِهِمْ، وَلَمْ  
يَزَالُوا يَطْلُبُونَ الْخَضَرَ وَالْبُقُولَ .

فَقَالَ مُوسَى إِنَّ مَا سَأَلْتُمْ يُوجَدُ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ وَمِصْرٍ .

﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ .

وَكَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي طِبَاعِهِمْ أَطْفَالًا، وَأَطْفَالًا مُعَانِدِينَ.

وَكُلَّمَا أُمِرُوا بِأَمْرٍ يُخَالِفُونَهُ إِلَى ضِدِّهِ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ.  
كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يُبَدِّلُوا مَا يُقَالُ لَهُمْ.  
كَطِفْلٍ عَنِيدٍ يُقَالُ لَهُ قُمْ فَيَجْلِسُ وَيُقَالُ لَهُ اجْلِسْ  
فَيَقُومُ، وَيُقَالُ لَهُ اسْكُتْ فَيَتَكَلَّمُ وَيُقَالُ لَهُ تَكَلَّمْ فَيَسْكُتُ.  
وَكَانَ فِيهِمْ عِنَادُ الْأَطْفَالِ فِي خُبْثِ الْأَشْرَارِ فِي هُزْءِ  
الْأَعْدَاءِ فِي سَفَاهَةِ الْمَجَانِينِ.

كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَسْكُنُوا قَرْيَةً وَيَأْكُلُوا طَعَامَهُمُ الشَّهِيَّ  
مِنَ الْخَضِرِ وَالْبُقُولِ.

وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا قِيلَ لَهُمْ ﴿أَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا  
مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا  
نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

غَضِبُوا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ، وَدَخَلُوا الْقَرْيَةَ كُرْهًا  
وَهُزُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ .  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَلَاءً وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ وَبَاءً مَا تُؤَا مِنْهُ  
مَوْتَ الْفِثْرَانِ .

وَإِذَا أُمِرُوا بِأَمْرٍ أَكْثَرُ السُّؤَالِ وَالتَّنْقِيرِ .  
شَأْنُ رَجُلٍ لَا يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ فَيُكْثِرُ السُّؤَالِ وَالتَّنْقِيرِ .  
حَدَّثَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ حَدِيثٌ قَتْلٍ ، فَأَهَمَّ ذَلِكَ بَنِي  
إِسْرَائِيلَ .

وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى الْقَاتِلِ ، وَكَانَ السُّؤَالُ عَنِ الْقَاتِلِ  
حَدِيثَ النَّاسِ .

جَاءُوا إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَقَالُوا  
أَعِنَّا يَا نَبِيَّ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ وَادْعُ اللَّهَ يُبَيِّنَ لَنَا الْقَاتِلَ .

## ١٢ - الْبَقْرَةُ

وَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ .  
هُنَالِكَ حَلَّتِ الْمُصِيبَةُ ، وَبَدَأَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَسْأَلُونَ  
وَيَسْخَرُونَ .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ .  
﴿قَالُوا أَلَنَتَّخِذُنَا هُزُوءًا﴾ .

﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ .  
وَهُنَا أَرْسَلُوا الْأَسْئَلَةَ .

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ ؟  
﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ  
ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ .  
وَلَمْ يَقِفُوا عَلَىٰ هَذَا السُّؤَالِ ، بَلْ بَدَأُوا يَسْأَلُونَ عَنْ  
لَوْنِهَا .

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾ .  
﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ  
النَّظِيرِينَ﴾ .

وَلَمْ يَجِدُوا سُؤَالَ فَأَظْلَقُوا السُّؤَالَ .  
﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا  
وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ .

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي  
الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾.

وَوُفِّقُوا فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ لَأَنَّهُمْ قَالُوا ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ  
لَمُهْتَدُونَ﴾ فَاهْتَدَوْا.

وَلَكِنَّ أَسْئَلَتَهُمْ ضَيَّقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ، فَلَوْ ذَبَحُوا  
أَيَّ بَقَرَةٍ لَكَانَتْ كَافِيَةً، وَلَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللَّهُ  
عَلَيْهِمْ.

وَفَتَّشُوا عَنِ الْبَقَرَةِ الْعَوَانَ الصُّفْرَاءِ الْفَاقِعِ لَوْنُهَا الَّتِي  
لَا تُثِيرُ الْأَرْضَ، وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ، الْمَسَلَّمَةِ الَّتِي لَا  
شِيَةَ فِيهَا.

وَنَدَرَ وَجُودُ هَذِهِ الْبَقَرَةِ الْغَرِيبَةِ فِيمَا بَقَرَةٌ فَارِضٌ وَإِمًا  
بَقَرَةٌ بِكُرٍّ.

وَإِمًا عَوَانٌ وَلَكِنْ غَيْرُ صُفْرَاءٍ.

وَإِمًا بَقَرَةٌ عَوَانٌ صُفْرَاءٌ وَلَكِنْ لَوْنُهَا غَيْرُ فَاقِعٍ.

وَإِمًا بَقَرَةٌ عَوَانٌ صُفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا وَلَكِنَّهَا بَقَرَةٌ ذَلُولٌ  
تُثِيرُ الْأَرْضَ.

وَأَمَّا بَقَرَةٌ عَوَانٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا لَا تُثِيرُ الْأَرْضَ  
وَلَكِنَّهَا تَسْقِي الْحَرْثَ .

وَفَتَّشُوا وَفَتَّشُوا وَعَلِمُوا عَاقِبَةَ هَذَا التَّنْقِيرِ ، مَا هِيَ ؟ مَا  
لَوْنُهَا ؟ مَا هِيَ ! وَتَعَبُوا .

وَأَرَادَ اللَّهُ بِبَيْتِيمَ خَيْرًا فَوَجَدُوا هَذِهِ الْبَقَرَةَ الَّتِي  
وَصَفَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ فَاشْتَرَوْهَا بِثَمَنِ غَالٍ جَدًّا ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا  
كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ .

وَأَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُضْرَبَ الْمُقْتُولُ بِجُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْبَقَرَةِ  
فِيحْيَا وَيُخْبَرَ بِاسْمِ الْقَاتِلِ .  
وَهَكَذَا كَانَ . . . . .

### ١٣ - الشَّرِيعَةُ

وَخَرَجَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ عَيْشِ الْبَهَائِمِ إِلَى عَيْشِ النَّاسِ .  
وَصَارُوا يَعِيشُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ كَالْأَحْرَارِ الْأَشْرَافِ .  
هُنَالِكَ اخْتَأَجُوا إِلَى شَرِيعَةٍ إِلَهِيَّةٍ تَحْكُمُ بَيْنَهُمْ وَتُنِيرُ  
لَهُمُ السَّبِيلَ .

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ كإِنْسَانٍ إِلَّا بِشَرِيعَةٍ  
إِلَهِيَّةٍ وَإِلَّا بِنُورٍ مِنْ رَبِّهِ.

الْعَالَمُ كُلُّهُ ظِلَامٌ فِي ظِلَامٍ إِلَّا مَنْ أَشْرَقَ لَهُ نُورٌ مِنْ  
رَبِّهِ.

وَذَلِكَ النُّورُ هُوَ نُورُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ النَّاسُ.  
وَمَنْ لَمْ يَهْتَدِ بِهَذَا النُّورِ كَانَ فِي ضَلَالٍ يَخْبِطُ خَبِطَ  
عَشَوَاءٍ.

فَالْعَقَائِدُ - بغيرِ هذا النُّورِ - أوهامٌ وخُرافاتٌ يضحكُ  
مِنْهَا الْأَطْفَالُ.

أَمَّا سَمِعْتُمْ عَقَائِدَ الْمُشْرِكِينَ وَالْكَفَّارِ وَالْيَهُودِ  
وَالنَّصَارَى وَخُرافَاتِهِمْ وَأَسَاطِيرَهُمْ؟!  
وَالْعِلْمُ جَهْلٌ وَظَنٌّ وَتَخْمِينٌ وَشَكٌّ ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا  
الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾.

وَالْأَخْلَاقُ تَفْرِيطٌ وَإِفْرَاطٌ وَتَقْصِيرٌ وَإِسْرَافٌ أَمَّا رَأَيْتُمْ  
الَّذِينَ لَا يَتَّبِعُونَ الْأَنْبِيَاءَ كَيْفَ يَهْضُمُونَ الْحُقُوقَ وَكَيْفَ  
يُجَاوِزُونَ الْحُدُودَ وَكَيْفَ يَتَّبِعُونَ الْهَوَى؟!



وَالْحُكْمُ وَالسِّيَاسَةُ ظُلْمٌ وَاسْتِبْدَادٌ وَخَبْطٌ فِي أَمْوَالِ  
النَّاسِ وَحُقُوقِهِمْ وَدِمَائِهِمْ.

أَمَّا رَأَيْتُمْ أُولِي الْأَمْرِ - مِمَّنْ لَا يَخَافُونَ اللَّهَ وَلَا  
يَتَّبِعُونَ الشَّرِيعَةَ - كَيْفَ يَخُونُونَ الْأَمَانَاتِ وَكَيْفَ يَعْبَثُونَ  
بِأَمْوَالِ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَعْبَثُونَ بِدِمَاءِ النَّاسِ وَحُقُوقِهِمْ؟!!

وَكَيفَ اسْتَعْبَدُوا النَّاسَ وَجَعَلُوهُمْ شِيعاً يَذْبَحُونَ  
رِجَالَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ، أَتَعْلَمُ كَمْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ  
الْأُولَى وَكَمْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ الثَّانِيَةِ<sup>(١)</sup>؟!!

فَالْعَالَمُ كُلُّهُ ظَلَامٌ فِي ظَلَامٍ إِلَّا مَنْ أَشْرَقَ لَهُ نُورٌ مِنْ  
رَبِّهِ.

﴿ظُلُمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ يَرْنَاهُ  
وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.

---

(١) للمعلم: عدد المصابين في الحرب الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) على  
ما حققه الإنكليزي السياسي الخبير أي - أليس تاونسند أكثر من  
سبعة وثلاثين مليوناً ٣٧٥١٣٨٨٦ رجلاً، المقتولون منهم  
٨٥٤٤٣٥١٥ نسمة، وقدر النائب البريطاني المستر ميكستن أن عدد  
المصابين في الحرب الثانية الكبرى لا يقل عن خمسين مليوناً.

وَالنَّبِيُّ يُعَلِّمُ النَّاسَ كَيْفَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَكَذَلِكَ  
يُعَلِّمُهُمْ كَيْفَ يُعَامِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَالنَّبِيُّ يُعَلِّمُ النَّاسَ آدَابَ الْحَيَاةِ مَعَ آدَابِ الدِّينِ،  
وَيُعَلِّمُهُمْ آدَابَ الْأَكْلِ وَآدَابَ الشُّرْبِ وَآدَابَ النَّوْمِ وَآدَابَ  
الْمَجْلِسِ وَآدَابَ كُلِّ شَيْءٍ.

وَيُعَلِّمُهُمُ الْآدَابَ كَمَا يُعَلِّمُ الْوَالِدُ الشَّفِيقُ أَبْنَاءَهُ  
الْأَعَزَّةَ.

وَالنَّاسُ كَالْأَطْفَالِ الصَّغَارِ يَحْتَاجُونَ فِي كِبَرِهِمْ إِلَى  
تَرْبِيَةِ الْأَنْبِيَاءِ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَاجُونَ فِي صِغَرِهِمْ إِلَى تَرْبِيَةِ  
الْآبَاءِ.

وَالَّذِينَ لَمْ يَتَلَقُّوا هَذِهِ التَّرْبِيَةَ النَّبَوِيَّةَ وَلَمْ يَتَعَلَّمُوا  
الْآدَابَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَأَشْجَارِ الْبَرِّيَّةِ، نَبَتَتْ وَنَشَأَتْ  
بِنَفْسِهَا فَبَرَى فِيهَا عِوَجًا وَشَوْكًا وَفَسَادًا.

#### ١٤ - التَّوْرَةُ

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ لَا يَضِيعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ كَمَا ضَاعَتْ أُمَّمٌ  
بِغَيْرِ كِتَابٍ وَهَدَى مِنَ اللَّهِ.

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ لَا يَخْبِطُوا خَبْطَ عَشَوَاءَ كَمَا خَبَطَتْ أُمَّمُ  
خَبْطَ عَشَوَاءَ.

أَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَتَطَهَّرَ وَأَنْ يَصُومَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ثُمَّ  
يَأْتِي إِلَى طُورِ سَيْنَاءَ حَتَّى يُكَلِّمَهُ رَبُّهُ وَيَتَلَقَّى كِتَابًا يَكُونُ  
لَهُمُ الْإِمَامَ.

اخْتَارَ مُوسَى مِنْ قَوْمِهِ سَبْعِينَ رَجُلًا يَكُونُونَ عَلَى  
ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمٌ جُحَدٌ.

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا  
تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ إِمَامٍ.  
سَارَ مُوسَى لِمِيقَاتِ رَبِّهِ، وَلَكِنَّهُ حَثَّهُ الشَّوْقُ إِلَى رَبِّهِ  
فَتَعَجَّلَ وَسَبَقَ إِلَى الطُّورِ.

قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسَّى﴾ ﴿٨٣﴾.

﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءَ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ ﴿٨٤﴾.

وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُتِمَّ مِيقَاتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.

وَصَلَ مُوسَى إِلَى طُورِ سَيْنَاءَ فَكَلَّمَهُ رَبُّهُ وَنَاجَاهُ وَقَرَّبَهُ  
وَأَذْنَاهُ، فَزَادَهُ ذَلِكَ شَوْقًا فَقَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مُوسَى لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ  
﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ  
الْخَبِيرُ﴾ (١٢٣).

وَإِنَّ الْجِبَالَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْمِلَ كَلَامَهُ فَضْلاً عَنْ  
نُورِهِ.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُّتَصَدِّعًا  
مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.

﴿قَالَ لَنْ تَرَنِى وَلَكِنْ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ  
مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِى﴾.

﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى  
صَعِقًا﴾.

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَىٰ  
فَخُذْ مَا ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٢٤).

أَخَذَ مُوسَى الْأَلْوَاحَ وَفِيهَا كُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ بَنُو  
إِسْرَائِيلَ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ.

وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَأْخُذَهَا بِقُوَّةٍ وَيَأْمُرَ قَوْمَهُ أَنْ يَأْخُذُوا  
بِأَحْسَنِهَا .

وَلَمَّا وَصَلَ مُوسَى إِلَى السَّبْعِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ  
وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالُوا فِي وَقَاحَةٍ وَجَسَارَةٍ .

﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ﴾ غَضِبَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ  
الْوَقَاحَةِ وَالْجُرْأَةِ فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ .

وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَا يَتَحَمَّلُونَ هَذِهِ الصَّاعِقَةَ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ  
فَكَيْفَ يَتَحَمَّلُونَ نُورَ اللَّهِ !

وَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ وَقَالَ : ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ  
قَبْلُ وَلَيْتَى أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ !؟

وَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ وَبَعَثَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ لَعَلَّهُمْ  
يَشْكُرُونَ .

## ١٥ - الْعِجْلُ

وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْيشُونَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي مِصْرَ مُنْذُ  
قُرُونٍ .

وَكَانَ الْأَقْبَاطُ يَعْبُدُونَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً فِي مِصْرَ وَبَنُو  
إِسْرَائِيلَ يَرَوْنَ ذَلِكَ بِعُيُونِهِمْ .

وَزَالَتْ مِنْهُمْ كَرَاهَةُ الشُّرْكِ وَتَسَرَّبَ إِلَيْهِمْ حُبُّهُ كَمَا  
يَتَسَرَّبُ الْمَاءُ إِلَى بَيْتٍ وَاهِنٍ عَتِيقٍ .

وَكَانُوا كُلَّمَا وَجَدُوا فُرْصَةً انْحَدَرُوا إِلَى الشُّرْكِ كَمَا  
يَنْحَدِرُ الْمَاءُ إِلَى الْحَدُورِ .

وَزَاغَتْ قُلُوبُهُمْ وَفَسَدَ ذَوْقُهُمْ فَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا  
يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا .

جَازُوا الْبَحْرَ : ﴿فَآتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ  
قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ .

وَغَضِبَ مُوسَى وَقَالَ : ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ .

يَا لِلْعَجَبِ ! يَا لِلظُّلْمِ ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ  
وَفَضَّلَكُمْ وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ .

﴿أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ .

سَارَ مُوسَى إِلَى الطُّورِ وَغَابَ عَنْهُمْ أَيَّامًا فَكَانُوا صَيْدَ  
الشَّيْطَانِ وَفَرِيسَةَ الشُّرْكِ .

قَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ السَّامِرِيُّ ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ .  
وَفُتِنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِهَذَا الْعِجْلِ وَخَرُّوا عَلَيْهِ صُمًّا وَعُمًيَانًا .

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ .

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ .  
وَنَهَاهُمْ هَارُونُ عَنْ ذَلِكَ وَاجْتَهَدَ وَقَالَ : ﴿يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ .  
وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا مَفْتُونِينَ بِسِحْرِ السَّامِرِيِّ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ فَقَالُوا :  
﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ .

## ١٦ - الْعِقَابُ

وَلَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ مُوسَىٰ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ رَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضَبَانٍ أَسِفًا .

وَعَضِبَ عَلَى قَوْمِهِ وَغَضِبَ لِلَّهِ عَلَى أَخِيهِ هَارُونَ.  
﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَ  
أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾﴾.

وَاعْتَذَرَ هَارُونَ وَقَالَ ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ  
بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْفُقْ قَوْلِي﴾.

﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾.  
﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ  
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

ثُمَّ التَّفَّتَ مُوسَى إِلَى السَّامِرِيِّ قَالَ: فَمَا خَطْبُكَ يَا  
سَامِرِيُّ؟

وَاعْتَرَفَ السَّامِرِيُّ بِجُرْمِهِ وَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي  
نَفْسِي﴾.

﴿قَالَ فَأَذْهَبْ فَإِنَّكَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا  
مِسَاسَ﴾.

وَعَاقَبَهُ مُوسَى بِالْأَنْفِرَادِ، يَمْشِي وَحْدَهُ وَيَعِيشَ وَحْدَهُ  
كَالْوَحْشِيِّ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ.



وَأَيُّ عِقَابٍ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا؟!

إِنَّ الَّذِي نَجَسَ أُلُوفاً مِنَ النَّاسِ بِالشُّرْكِ يَجِبُ أَنْ  
يَتَقَدَّرَهُ النَّاسُ وَيَنْبَذُوهُ.

إِنَّ الَّذِي فَرَّقَ بَيْنَ اللَّهِ وَعِبَادِهِ يَجِبُ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ النَّاسِ.

إِنَّ الَّذِي دَعَا إِلَى الشُّرْكِ فِي أَرْضِ اللَّهِ مُذْنِبٌ يَجِبُ  
أَنْ تَكُونَ الْأَرْضُ كُلُّهَا سَجْناً لَهُ.

ثُمَّ التَفَتَ مُوسَى إِلَى الْعِجْلِ الْمَلْعُونِ فَأَمَرَ بِإِحْرَاقِهِ  
فَأُحْرِقَ ثُمَّ نَفَضَهُ فِي الْبَحْرِ.

وَرَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مَصِيرَ الْعِجْلِ الْمَعْبُودِ وَرَأَوْا ضَعْفَهُ  
وَعَجْزَهُ.

ثُمَّ التَفَتَ مُوسَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَالَ: ﴿يَنْقُومِ  
إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ  
فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾.

وَكَذَٰلِكَ فَعَلُوا، وَقَتَلَ الَّذِينَ لَمْ يَعْبُدُوا الْعِجْلَ الَّذِينَ  
عَبَدُوهُ وَهَكَذَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ .

وَكَذَٰلِكَ عُبَادُ الْعِجْلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَكَذَٰلِكَ  
الْمُشْرِكُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ !

### ١٧ - جُبْنُ بَنِي إِسْرَائِيلَ

نَشَأَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ فِي مِصْرَ وَعَلَى الذُّلِّ  
وَالْهَوَانِ ، وَشَبَّ عَلَيْهِ الْأَطْفَالُ وَشَابَ عَلَيْهِ الشُّبَّانُ .  
وَبَرَدَ فِي عُرُوقِهِمُ الدَّمُ .

وَأُضْبِحُوا لَا يَحْلُمُونَ بِسِيَادَةٍ وَلَا يَتَحَدَّثُونَ بِغُرُورٍ وَلَا  
جِهَادٍ .

كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ فِي الْغُرْبَةِ لَيْسَ لَهُمْ  
وَطَنٌ وَلَا حُكْمٌ .

فَأَرَادَ مُوسَى بِوَحْيِ اللَّهِ أَنْ يَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ  
وَيَسْكُنُوا فِيهَا مُلُوكًا أَحْرَارًا .

وَلَكِنَّ مُوسَى كَانَ يَعْرِفُ طَبِيعَةَ الْجُبْنِ وَالضَّعْفِ فِي  
بَنِي إِسْرَائِيلَ .

فَأَرَادَ أَنْ يُشَوِّقَهُمْ وَأَنْ يُهَوِّنَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ لِأَنَّ الْأَرْضَ  
الْمُقَدَّسَةَ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا قَوْمٌ جَبَّارُونَ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو  
بَأْسٍ شَدِيدٍ .

وَلَا يَدْخُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ حَتَّى  
يُخْرِجُوا مِنْهَا هَؤُلَاءِ الْجَبَّارِينَ .

فَذَكَرَ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَمَا فَضَّلَهُمْ بِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ ،  
حَتَّى يَنْشَطُّوا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَحَتَّى يَكْرَهُوا هَذِهِ  
الْحَيَاةَ الذَّلِيلَةَ غَيْرَ اللَّائِقَةِ .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ أَدَّكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا  
مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ .

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ إِنَّ أَمَامَكُمْ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَلَيْسَ لَكُمْ  
إِلَّا أَنْ تَقُومُوا وَتَتَنَزَّعُوهَا مِنْ أَعْدَائِكُمْ .

وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا كَتَبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا وَقَدَّرَهُ لَهُ فَقَدْ هَانَ عَلَيْهِ  
أَنْ يَأْخُذَهُ فَلَا رَادَّ لِقَضَاءِ اللَّهِ .

﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ .

وَخَافَ أَنْ تَغْلِبَهُمْ طَبِيعَةُ الْجُبْنِ فَقَالَ :

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ .

وَوَقَعَ مَا كَانَ يَحْذَرُهُ مُوسَى ، فَكَانَ جَوَابُهُمْ عَلَىٰ كُلِّ مَا قَالَ مُوسَى .

﴿يَمْوَسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ .

وَقَالُوا فِي وَقَارٍ وَسُكُونٍ :

﴿فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ .

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا  
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ .

وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُوَثِّرْ فِيهِمْ وَقَالُوا :

إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الدُّخُولِ فَادْخُلْ أَنْتَ بِمُعْجِزَةٍ ، فَإِذَا سَمِعْنَا أَنَّكَ قَدْ دَخَلْتَهَا ، جِئْنَا فَدَخَلْنَا نَحْنُ أَيْضًا آمِنِينَ سَالِمِينَ .

﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَآذْهَبْ  
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٢٤).

هُنَالِكَ غَضِبَ مُوسَى وَيَسَّ مِنْ هَؤُلَاءِ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا  
وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٥).

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي  
الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٦).

وَفِي هَذِهِ الْمُدَّةِ يَمُوتُ هَذَا الْجِيلُ الَّذِي نَشَأَ فِي مِصْرَ  
عَلَى الْعُبُودِيَّةِ وَالذُّلِّ.

وَيَنْشَأُ جِيلٌ آخَرُ يَنْشَأُ فِي هَذَا التَّيِّهِ عَلَى الشَّدَّةِ وَالْعُسْرِ  
وَتِلْكَ أُمَّةُ الْمُسْتَقْبَلِ وَهَذَا هُوَ مَصِيرُ الْيَهُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ  
أُمَّةٌ تَأْتِيهِ تَعِيشُ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ وَالذُّلِّ.

## ١٨ - فِي سَبِيلِ الْعِلْمِ

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَامَ مُوسَى خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ  
فَسُئِلَ:

أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟

فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ!

فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ!

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ  
هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ.

قَالَ رَبِّ كَيْفَ بِهِ؟

فَقِيلَ لَهُ احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ (زَنْبِيلٍ) فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ  
ثُمَّ.

فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ وَحَمَلًا حُوتًا فِي  
مِكْتَلٍ حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رَأْسَيْهِمَا فَنَامَا.

فَانْسَلَّ الْحُوتُ مِنَ الْمِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ  
سَرَبًا (مَسْلَكًا) وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا.

فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمِهِمَا فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى  
لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (تَعَبًا).

وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ  
الَّذِي أُمِرَ بِهِ.

فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ  
الْحُوتَ﴾ .

قَالَ مُوسَى : ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ﴾

﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ عَثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ .

فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِذَا رَجُلٌ مُّسَجًّى (مُغَطًّى)  
بِثَوْبٍ فَسَلَّمَ مُوسَى .

فَقَالَ الْخَضِرُ : وَأَنْنَى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟

فَقَالَ : أَنَا مُوسَى !

فَقَالَ : مُوسَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ؟

قَالَ : نَعَمْ !

قَالَ مُوسَى : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ

رُشْدًا؟﴾

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ !

يَا مُوسَى إِنِّي عَلَىٰ عِلْمٍ مِّنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمْنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ

أَنْتَ ، وَأَنْتَ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَّمَكُهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ !

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ

فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمَا أَنْ يَحْمِلُوهُمَا .  
فَعُرِفَ الْخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ (أَجْرَةٍ) .  
فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ  
نَقْرَتَيْنِ مِنَ الْبَحْرِ .  
فَقَالَ الْخَضِرُ :

يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا  
كَنَقْرَةَ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ .  
فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنَ الْأَوَاحِ السَّفِينَةِ فَتَزَعَهُ .  
فَقَالَ مُوسَى :

قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا  
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ؟ !!  
قَالَ الْخَضِرُ :

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ؟ !  
قَالَ مُوسَى :

﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ .  
فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا .



فَانْطَلَقَا فَإِذَا بِغُلَامٍ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَ الْخَضِرُ  
بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَأَقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ.

فَقَالَ مُوسَى:

﴿أَقْنَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾!

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾!؟

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ

يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ . . . ﴾.

قَامَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ.

فَقَالَ مُوسَى:

﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾!

فَقَالَ: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾!

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ

حَتَّى يُقْصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا<sup>(١)</sup>! ».

---

(١) الجامع الصحيح للبخاري.

ثُمَّ نَبَأَ الْخَضِرُ مُوسَى .

فَقَالَ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ (صَالِحَةٍ) غَصْبًا﴾ .

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٨٠) .

﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ (٨١) .

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ .

﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ ذَلِكِ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ .

هُنَالِكَ عَرَفَ مُوسَى أَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحِيطَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ بَعْضَ عِلْمِهِ عِنْدَ بَعْضٍ وَبَعْضُهُ عِنْدَ بَعْضٍ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ .

## ٢٠ - بَنُو إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَى

وَتُوْفِّي مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ عِقَاباً  
مِّنَ اللَّهِ وَجَزَاءً أَعْمَالِهِمْ.

﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾.

إِنَّهُمْ قَدْ أَسَخَطُوا اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءَ،  
وَجَعَلَهُمْ مُلُوكًا، وَأَتَاهُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ  
فِي عَذْرِهِمْ.

الَّذِي أَنْجَاهُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ  
يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ.

الَّذِي فَرَقَ بِهِمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَاهُمْ وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ  
وَهُمْ يَنْظُرُونَ.

الَّذِي ظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى.

الَّذِي فَجَّرَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ عُيُونًا، وَوَسَّعَ لَهُمْ فِي  
مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ.

وَكَانَ جَزَاءُ كُلِّ ذَلِكِ أَنْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَعَصَوْا  
وَاعْتَدَوْا.

وَأَغْضَبُوا نَبِيَّهُمْ مُوسَى أَشْفَقَ خَلْقَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَأَشْفَقَ  
عَلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ .

ذَلِكَ الَّذِي كَانَ يَحْنُو عَلَيْهِمْ حُنُوَ الْمُرْضِعِ عَلَى  
الْفِطِيمِ ، وَالْأُمِّ الْحَنُونِ عَلَى الْيَتِيمِ .

ذَلِكَ الَّذِي سَبَّوهُ دَعَا لَهُمْ وَكُلَّمَا ضَحِكُوا عَلَيْهِ بَكَى  
لَهُمْ وَكُلَّمَا جَفَوْهُ رَثَى لَهُمْ .

ذَلِكَ الَّذِي خَلَّصَهُمْ مِنْ أَسْرِ فِرْعَوْنَ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ  
سِجْنِ مِصْرَ إِلَى بَرِّ الْحُرِّيَّةِ وَالشَّرَفِ ، وَمِنْ حَيَاةِ الْعَبِيدِ  
الْأَشْقِيَاءِ ، إِلَى حَيَاةِ الْأَحْرَارِ الشُّرَفَاءِ .

قَدْ أَغْضَبُوهُ وَأَذَوْهُ وَعَانَدُوهُ وَسَخِرُوا مِنْهُ وَجَعَلُوهُ  
أَهْوَنَ رَجُلٍ فِيهِمْ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا .

أَلَا يَسْتَحِقُّونَ هَذَا الْعِقَابَ وَالْخِزْيَ وَالذُّلَّ وَالْمَسْكَنَةَ  
وَالثِّيَّةَ الدَّائِمَ وَأَلَّا يُفْلِحُوا أَبَدًا؟

بَلَى ! إِنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ كُلَّ ذَلِكَ وَأَكْثَرَ بِأَعْمَالِهِمْ : ﴿وَمَا  
ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ .



## ١ - نَظَرَةٌ عَلَى الْقَصَصِ السَّابِقَةِ

قَرَأْتُمْ قِصَّةَ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَسَيِّدِنَا يُوسُفَ، وَقَرَأْتُمْ قِصَّةَ سَيِّدِنَا نُوحٍ وَسَيِّدِنَا هُودٍ وَسَيِّدِنَا صَالِحٍ، قَرَأْتُمْ قِصَّةَ سَيِّدِنَا مُوسَى فِي شَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ وَالتَّطْوِيلِ، قَرَأْتُمْ كُلَّ ذَلِكَ بِشَوْقٍ وَرَغْبَةٍ، وَإِجْلَالٍ وَتَقْدِيرٍ، وَحَلَّتْ فِي نَفُوسِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ مَحَلَّ الْقَصَصِ الْحَبِيبَةِ الْأَثِيرَةِ، وَوَعَتْهَا ذَاكِرَتُكُمْ، وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُكُمْ، وَقَدْ رَأَى النَّاسُ تَحْكُونَهَا لِإِخْوَتِكُمُ الصُّغَارِ، وَتُرَدِّدُونَهَا لِلْأَبَوَيْنِ، وَالْإِخْوَةَ الْكِبَارِ، وَأَنْتُمْ تَتَذَوِّقُونَهَا، وَقَدْ تَتَحَمَّسُونَ فِي حِكَايَتِهَا.

## ٢ - قِصَّةُ صِرَاعٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

وَلَا غَرَابَةَ؛ فَإِنَّهَا قِصَصٌ شَائِقَةٌ مُثِيرَةٌ، وَإِنَّهَا قِصَّةُ صِرَاعٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ، وَبَيْنَ

النُّورِ وَالظَّلَامِ، وَبَيَّنَ الْإِنْسَانِيَّةَ وَالْوَحْشِيَّةَ، وَبَيَّنَ الْجَزْمَ  
وَالْيَقِينَ، وَالظَّنَّ وَالتَّخْمِينَ.

ثُمَّ إِنَّهَا قِصَّةُ انْتِصَارٍ لِلْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ، وَالْعِلْمِ عَلَى  
الْجَهْلِ، وَالضَّعِيفِ عَلَى الْقَوِيِّ، وَالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ،  
قِصَّةٌ فِيهَا عِلْمٌ وَحِكْمَةٌ، وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى، وَصَدَقَ اللَّهُ  
الْعَظِيمُ: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا  
كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.





## قِصَّةُ سَيِّدِنَا شُعَيْبٍ عليه السلام

وَلَيْسَ مَا حَكَيْنَاهُ لَكُمْ مِنْ قَصَصِ النَّبِيِّينَ، هُوَ كُلُّ مَا  
حَكَاهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ قِصَصِهِمْ وَحِكَايَاتِهِمْ، فَفِي  
الْقُرْآنِ قِصَصٌ غَيْرُ هَذِهِ الْقِصَصِ.

### ٣ - وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا

فِيهِ قِصَّةُ نَبِيِّ اللَّهِ شُعَيْبٍ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَدْيَنَ  
وَأَصْحَابِ الْأَيْكَةِ، وَهُمْ أَصْحَابُ تِجَارَةٍ وَسِلْعٍ، فَقَدْ  
كَانُوا عَلَى الْجَادَّةِ التِّجَارِيَّةِ الْكَبِيرَةِ بَيْنَ الْيَمَنِ وَالشَّامِ،  
وَبَيْنَ الْعِرَاقِ وَمِصْرَ، عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ.

كَانُوا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ غَيْرَهُ، كَمَا كَانَتْ أُمَّمُ الْأَنْبِيَاءِ فِي  
كُلِّ عَصْرٍ، وَكَانُوا - زِيَادَةً إِلَى ذَلِكَ - يَنْقُصُونَ الْمِكْيَالَ  
وَالْمِيزَانَ، وَيُطْفِفُونَ فِي الْكَيْلِ، وَيَتَعَرَّضُونَ لِلْقَوَافِلِ،  
فَيَتَوَعَّدُونَهَا وَيُخَيِّفُونَهَا، وَيَعِيشُونَ فِي الْأَرْضِ فُسَادًا،

شَأْنُ الْأَغْنِيَاءِ الْأَقْوِيَاءِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ حِسَاباً وَلَا  
يَخْشَوْنَ عَذَاباً .

فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ شُعَيْباً يَدْعُوهُمْ وَيُنْذِرُهُمْ ،  
وَيَقُولُ لَهُمْ : ﴿ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ  
وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي  
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ وَيَنْقُومِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ  
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا  
فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾ .

#### ٤ - دَعْوَةُ شُعَيْبٍ

وَيَبْسِطُ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ وَيَحُلُّ عُقْدَةً فِي أَنْفُسِهِمْ ،  
وَهِيَ عُقْدَةُ حُبِّ الْمَالِ وَالزِّيَادَةِ فَيَقُولُ :

إِنَّ مَا يَفْضُلُ لَكُمْ مِنَ الرَّبْحِ بَعْدَ وَفَاءِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ  
خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالظُّلْمِ وَالْخِيَانَةِ ، وَإِذَا  
نَظَرْتُمْ فِي حَيَاتِكُمْ ، وَفِي حَيَاةِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَثَرُوا  
وَجَمَعُوا الْأَمْوَالَ ، وَجَدْتُمْ أَنَّ مَا اكْتَسَبُوهُ عَنْ طَرِيقِ



التَّطْفِيفِ وَالْبَخْسِ وَالْخِيَانَةِ، كَانَ مَصِيرُهُ إِلَى التَّلَفِ  
وَالضَّيَاعِ أَوْ الْفَسَادِ وَالْبَلَاءِ، فَسُرِقَ أَوْ نُهِبَ أَوْ أُنفِقَ فِي  
غَيْرِ مَا يُرْضِي اللَّهَ أَوْ سُلِّطَ عَلَيْهِ مَنْ أَتْلَفَهُ وَعَبَثَ بِهِ،  
وَالْقَلِيلُ الَّذِي يَنْفَعُ خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ: ﴿قُلْ لَا  
يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾.

وَنَضِيحَتِي لَكُمْ خَالِصَةٌ مُخْلِصَةٌ، وَاللَّهُ هُوَ الرَّقِيبُ  
عَلَيْكُمْ وَحْدَهُ، يَقُولُ فِي رَفْقٍ وَحِكْمَةٍ وَعَنْ عِلْمٍ  
وَبَصِيرَةٍ:

﴿بَقِيَ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ  
بَحَفِظٍ﴾ (٨٦).

### ٥ - أَبٌ رَحِيمٌ وَمُعَلِّمٌ حَكِيمٌ

وَيَنْوَعُ لَهُمْ فِي الْخِطَابِ، وَيَتَفَنَّنُ فِي النَّصِيحَةِ، شَأْنُ  
الْأَبِ الرَّحِيمِ وَالْمُعَلِّمِ الْحَكِيمِ، فَيَقُولُ:

﴿يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ  
جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ  
إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا  
تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ  
ءَامَنَ بِهِ، وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا  
فَكَذَّبَكُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ .

### ٦ - جَوَابُ قَوْمِهِ

وَقَدْ دَقَّقَ أَذْكَيَاؤُهُمْ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَتَعْلِيلِهَا،  
وَقَالُوا فِي تَبْغُونَهَا عِوَجًا، كَأَنَّهُمْ اكْتَشَفُوا سِرًّا، أَوْ فَكَّوْا  
لُغْزًا:

﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ  
ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ  
الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ .

### ٧ - شُعَيْبٌ يَشْرَحُ دَعْوَتَهُ

وَتَلَطَّفَ لَهُمْ شُعَيْبٌ، فَلَمْ يَقْسُ وَلَمْ يَغْضَبْ،  
وَأَفْهَمَهُمْ أَنَّهُ مَا حَمَلَهُ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَالنَّصِيحَةِ بَعْدَ

صَمْتُ طَوِيلٍ وَعَدَمِ تَعَرُّضٍ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقٍ  
فَاسِدَةٍ وَتَصَرُّفَاتٍ جَائِزَةٍ، إِلَّا مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ أَحْيَرًا:  
بِالنُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَمَا شَرَحَهُ لَهُ صَدْرُهُ وَآتَاهُ نُورًا مِنْ عِنْدِهِ.

وَأَنَّهُ لَا يَحْمِلُهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَسَدُ، فَقَدْ أَغْنَاهُ اللَّهُ  
وَرَزَقَهُ حَلَالًا طَيِّبًا، وَأَنَّهُ بِذَلِكَ سَعِيدٌ، هَنِيءُ النَّفْسِ،  
رَخِيُّ الْبَالِ، شَاكِرٌ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ.

ثُمَّ أَنَّهُ لَا يَنْهَاهُمْ عَنْ أَمْرِ وَيَرْتَكِبُهُ، وَيَمْنَعُهُمْ مِنْ شَيْءٍ  
وَيَأْتِيهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ  
أَنْفُسَهُمْ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ  
إِصْلَاحَهُمْ وَإِسْعَادَهُمْ وَإِنْقَادَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي يُحَلِّقُ  
عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَإِنَّ الْفَضْلَ كُلَّهُ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى  
وَعَلَيْهِ اعْتِمَادُهُ.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ  
رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ إِنْ  
أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ  
وَالَيْهِ أُنِيبُ﴾

## ٨ - مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ

وَتَجَاهَلَ الْقَوْمُ مَا أَرَادَهُ شُعَيْبٌ كَأَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ فِي لُغَةٍ أَعْجَبِيَّةٍ مَعَ أَنَّهُ ابْنُ الْبَلَدِ وَأَخُو الْقَوْمِ، وَكَأَنَّهُ كَانَ غَيْرَ مُبِينٍ فِي كَلَامِهِ، غَيْرَ مُفْصِحٍ، مَعَ أَنَّهُ مِنْ أُبْلَغِهِمْ كَلَامًا وَأَنْصَعِهِمْ بَيَانًا، وَهَكَذَا يَقُولُ النَّاسُ إِذَا كَبُرَتْ عَلَيْهِمُ النَّصِيحَةُ وَشَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ.

## ٩ - شُعَيْبٌ يَتَعَجَّبُ مِنْ قَوْمِهِ

وَتَعَلَّلُوا بِضَعْفِهِ وَوَحْدَتِهِ وَأَنَّهُ لَوْلَا عَشِيرَتُهُ وَقَرَابَتُهُمْ لَهُ لَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، وَتَخَلَّصُوا مِنْهُ، وَقَدْ اسْتَنَكَرَ ذَلِكَ شُعَيْبٌ، وَتَعَجَّبَ مِنْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ، وَالْقَوِيُّ الْقَاهِرُ، أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَشِيرَةٍ هِيَ غُرْضَةٌ لِلْأَمْرَاضِ وَالْهَلَاكِ وَالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ.

﴿قَالُوا يَنْشُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾  
 (٩١) قَالَ يَنْقُومُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ

وَرَأَى كُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ .

### ١٠ - السَّهْمُ الْأَخِيرُ

وَلَمَّا انْقَطَعَتْ حُجَّتُهُمْ أَطْلَقُوا السَّهْمَ الْأَخِيرَ الَّذِي  
أَظْلَقَهُ الْمُتَكَبِّرُونَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ عَلَى نَبِيِّهِمْ وَأَتْبَاعِهِ :  
﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ  
كَرِهِينَ﴾ .

### ١١ - حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ

فَكَانَ جَوَابُهُ جَوَابَ فَخُورٍ بِدِينِهِ غِيُورٍ عَلَى عَقِيدَتِهِ  
وَضَمِيرِهِ :

﴿قَالَ أُولَئِكَ كَرِهِينَ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي  
مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّعْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا  
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا  
أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ .

## ١٢ - بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ

فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ ذَلِكَ، بَلْ قَالُوا مِثْلَمَا قَالَ الْأَوَّلُونَ:  
﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا  
وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ  
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾.

## ١٣ - عَاقِبَةُ أُمَّةٍ كَذَبَتْ نَبِيَّهَا

وَكَانَتْ الْعَاقِبَةُ وَاحِدَةً، عَاقِبَةُ كُلِّ أُمَّةٍ كَذَبَتْ نَبِيَّهَا  
وَكَفَرَتْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ  
جِثْمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ  
كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

## ١٤ - بَلَغَ الرُّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ

وَكَانَ شَأْنُ شُعَيْبٍ، شَأْنُ كُلِّ نَبِيٍّ بَلَغَ الرُّسَالَةَ، وَأَدَّى  
الْأَمَانَةَ وَأَقَامَ الْحُجَّةَ: ﴿فَنَوَلَّيْنَاهُمُهَا وَقَالَ لِقَوْمِهِمْ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ  
رِسَالَتِي رَأَيْتُمْ فَلَيَكْفِيَكُمْ هَؤُلَاءِ عَلَى قَوْمٍ مِّثْلِكُمْ﴾.



## قِصَّةُ

سَيِّدِنَا دَاوُدَ، وَسَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ ۖ

وَلَمْ يَقْتَصِرِ الْقُرْآنُ عَلَى ذِكْرِ أَيَّامِ اللَّهِ وَمَا لَقِيَهُ الْأَنْبِيَاءُ  
وَالرُّسُلُ مِنْ تَكْذِيبٍ وَسُخْرِيَّةٍ وَإِهَانَةٍ وَمُطَارَدَةٍ مِنَ الْأُمَمِ  
الَّتِي بُعِثُوا فِيهَا، وَمَا لَقِيََتْ هَذِهِ الْأُمَمُ مِنْ عُقُوبَةٍ وَعَذَابٍ  
وَهَلَاكِ وَدَّمَارٍ لِتَكْذِيبِهَا لِلرُّسُلِ وَاسْتِهْزَائِهَا بِهِمْ وَكَيْدِهَا  
لَهُمْ وَهَمِّهَا بِقَتْلِهِمْ، كَمَا مَرَّ بِكُمْ فِي قِصَصِ النَّبِيِّينَ.

### ١ - الْقُرْآنُ يَتَحَدَّثُ عَنْ آلاءِ اللَّهِ

بَلْ تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ كَثِيرًا عَنْ آلاءِ اللَّهِ، وَحَكَى فِي  
بَسِطٍ أَحْيَانًا وَفِي اخْتِصَارٍ أَحْيَانًا عَنْ نِعَمٍ كَثِيرَةٍ، أَنْعَمَ  
بِهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، مِنْهُمْ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانُ، وَمِنْهُمْ  
أَيُّوبُ وَيُونُسُ، وَمِنْهُمْ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى.

فَأَمَّا دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ فَقَدْ مَكَّنَ اللَّهُ لَهُمَا فِي الْأَرْضِ،

وَوَسَّعَ لَهُمَا فِي الْمُلْكِ، وَمَدَّ لَهُمَا فِي الْعِلْمِ، وَعَلَّمَهُمَا  
كَثِيرًا مِمَّا جَهِلَهُ النَّاسُ، وَسَخَّرَ لَهُمَا الْأَقْوِيَاءَ وَالْعُتَاةَ،  
وَمَا لَا يَنْقَادُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ، فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ  
ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ  
مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَائِيهَا النَّاسُ  
عُلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ  
الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ .

## ٢ - نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى دَاوُدَ

فَإِنَّمَا دَاوُدَ فَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ تَتَجَاوَبُ  
مَعَهُ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّسْبِيحِ، وَعَلَّمَهُ صُنْعَةَ الدَّرُوعِ، وَأَلَانَ  
لَهُ الْحَدِيدَ. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أُورِ  
مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ﴾ (١٧) أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي  
السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَاحِبًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٨﴾ .  
وَيَقُولُ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرُ وَكُنَّا  
فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ  
فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (١٩) .



### ٣ - شُكْرُهُ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ

وَكَانَ دَاوُدَ مَعَ هَذَا الْمُلِكِ الْوَاسِعِ وَالْيَدِ الْحَازِقَةِ الْقَوِيَّةِ كَانَ عَبْدًا خَاشِعًا أَوَّابًا، دَائِمَ الذِّكْرِ، طَوِيلَ الدُّعَاءِ وَالتَّسْبِيحِ، حَاكِمًا مُقْسِطًا، يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا يُحَابِي، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٢١﴾﴾ .

### ٤ - نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى سُلَيْمَانَ

فَإِذَا سُلَيْمَانُ فَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ وَتَحْمِلُهُ مِنْ مَّكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، فَيَصِلُ إِلَيْهِ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ وَأَسْرَعَ زَمَانٍ وَسَخَّرَ لَهُ الْأَقْوِيَاءَ وَالْحَازِقِينَ مِنَ الْجِنِّ، وَالْمَارِدِينَ مِنَ الشَّيَاطِينِ، يُنْفِذُونَ أَوَامِرَهُ وَيُكْمِّلُونَ مَشَارِعَهُ الْعُمْرَانِيَّةَ وَالْبَنَائِيَّةَ الْعِمْلَاقَةَ .

﴿وَلَسَلِمْنَ الرَّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا

وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُمْ  
 وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمُ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ .  
 ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ  
 عَيْنَ الْقَظْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن  
 يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٨٣﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ  
 مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثَّلَ حِجَابٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ  
 أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿٨٤﴾ .

### هـ - فِقْهٌ دَقِيقٌ وَعِلْمٌ عَمِيقٌ

وَقَدْ تَجَلَّى ذِكَاؤُهُ وَقُدْرَتُهُ عَلَى الْحُكْمِ الصَّحِيحِ فِي  
 قَضِيَّةٍ رُفِعَتْ إِلَى وَالِدِهِ الْعَظِيمِ، فَكَانَ لِقَوْمٍ كَرُمٌ قَدْ  
 أَنْبَتَتْ عَنَاقِيدَهُ، فَدَخَلَتْ فِيهِ غَنَمٌ لِقَوْمٍ فَأَفْسَدَتْهُ، فَقَضَى  
 دَاوُدُ بِالْغَنَمِ لِصَاحِبِ الْكَرْمِ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: غَيْرَ هَذَا يَا  
 نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: تَدْفَعُ الْكَرْمَ إِلَى صَاحِبِ  
 الْغَنَمِ فَيَقُومُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ، وَتَدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِ  
 الْكَرْمِ فَيَصِيبُ مِنْهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ الْكَرْمُ كَمَا كَانَ دَفَعْتَ  
 الْكَرْمَ إِلَى صَاحِبِهِ وَدَفَعْتَ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِهَا.

وَحَصَّهُ اللَّهُ بِفِقْهِ دَقِيقٍ وَعِلْمٍ عَمِيقٍ فَقَالَ :  
﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ  
غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ  
وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ .

## ٦ - سُلَيْمَانُ يَعْرِفُ لُغَةَ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ

وَقَصَّ الْقُرْآنُ قِصَّةَ حَكِيمَةٍ مُّمْتِعَةٍ تَجَلَّى فِيهَا تَيْقُظُ  
سُلَيْمَانَ فِي تَذْيِيرِ مَمْلَكَتِهِ، وَرَهْبَةِ سُلْطَانِهِ، كَيْفَ  
جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَبَيْنَ الْمُلْكِ  
وَالْتَّمُكِينَ، وَالنُّبُوَّةَ وَالرَّسَالَةَ فِي الدِّينِ، وَكَانَ يَعْرِفُ لُغَةَ  
الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ، وَجَمَعَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ  
ذَاتِ مَرَّةٍ، وَرَكَّبَ فِيهِمْ فِي أُبْهَةِ وَعَظْمَةِ وَكَانُوا عَلَى  
نِظَامٍ كَامِلٍ، وَكَانُوا فِي قِيَادَةِ رُؤَسَائِهِمْ، فَمَرَّ سُلَيْمَانُ  
عَلَى وَادِي النَّمْلِ، فَخَافَتْ نَمْلَةٌ عَلَى قَبِيلَتِهَا أَنْ تَحْطِمَهَا  
الْخُيُولُ بِحَذَافِيرِهَا، وَلَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ،  
فَأَمَرَتْهُمْ بِالدُّخُولِ إِلَى مَسَاكِينِهِمْ، فَفَهِمَ ذَلِكَ سُلَيْمَانُ،  
وَلَمْ يَأْخُذْهُ التِّيَهُ وَلَا الزَّهْوُ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ بَلْ

حَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَشُكْرِ نِعْمَتِهِ، وَالِدُّعَاءِ  
وَالْتَوْفِيقِ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالانْخِرَاطِ فِي سِلْكِ عِبَادِ اللَّهِ  
الصَّالِحِينَ.

## ٧ - قِصَّةُ هُذْهِدٍ

وَكَانَ الْهُذْهُدُ رَائِدُهُ وَعَيْنُهُ يَدُلُّهُ عَلَى مَوَاضِعِ الْمِيَاهِ،  
وَمَنَازِلِ الْجَيْشِ، فَلَمْ يَجِدْهُ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَتَوَعَّدَهُ، فَعَابَ  
زَمَانًا يَسِيرًا ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ لِسُلَيْمَانَ: أَطْلَعْتُ عَلَى مَا لَمْ  
تَطْلِعْ عَلَيْهِ أَنْتَ وَلَا جُنُودُكَ وَجِئْتُكَ بِخَبَرٍ صِدْقٍ عَنْ سَبَاٍ  
وَمَلِكَتِهِمْ: لَهُمْ مُلْكٌ عَظِيمٌ، وَدَوْلَةٌ وَاسِعَةٌ، وَقَدْ وَجَدْتُهُمْ  
عَلَى هَذَا الْعَقْلِ وَالْكِيَاَسَةِ، وَالْمُلْكِ وَالرِّيَاسَةِ، أَصْحَابِ  
سَفَاهَةٍ وَجَهَالَةٍ. وَهُمْ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ،  
وَلَا يَفْقَهُونَ ذَلِكَ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ.

## ٨ - سُلَيْمَانُ يَدْعُو مَلِكَةَ سَبَاٍ إِلَى دِينِهِ

وَشَقَّ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ بِجَوَارِ مَمْلَكَتِهِ مَلِكٌ  
وَأُمَّةٌ لَا يَعْرِفُهَا وَلَمْ تَبْلُغْهَا دَعْوَتُهُ، وَلَا تَزَالُ تَعْبُدُ

الشَّمْسَ، وَثَارَتْ فِيهِ الْحِمِيَّةُ الدِّينِيَّةُ النَّبَوِيَّةُ، وَرَأَى مِنْ الصَّوَابِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى مَلِكَتِهَا وَحَاكِمَتِهَا الْمُشْرِكَةِ وَيَدْعُوهَا إِلَى الْإِسْلَامِ، وَالطَّاعَةِ وَالْإِسْتِسْلَامِ، قَبْلَ أَنْ يَزْحَفَ عَلَى بِلَادِهَا بِجُنُودِهِ الْقَاهِرَةِ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا كِتَاباً بَلِيغاً وَدَعَاها فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِسْتِسْلَامِ. وَالْكِتَابُ يَجْمَعُ بَيْنَ الرِّقَّةِ وَالصَّرَامَةِ وَتَوَاضَعِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرَةِ الْمُلُوكِ.

#### ٩ - الْمَلِكَةُ تَسْتَشِيرُ أَرْكَانَ دَوْلَتِهَا

فَقَدْ كَانَ سُلَيْمَانُ جَامِعاً بَيْنَهُمَا، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَحْكُمُ هَذِهِ الْبِلَادَ عَاقِلَةً غَيْرَ مُتَسَرِّعَةٍ فِي الْحُكْمِ، عِنْدَهَا تَجَارِبُ وَاسِعَةٌ مِنْ سِيرِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْفَاتِحِينَ، وَإِنَّمَا خَانَهَا عَقْلُهَا فِي مَعْرِفَةِ الْإِلَهِ وَعِبَادَتِهِ فَلَمْ تَأْخُذْهَا حِمِيَّةُ الْمُلُوكِ، وَلَمْ تَسْتَبِدَّ بِالرَّأْيِ، فَأُطْلِعَتْ أَهْلَ الرَّأْيِ مِنْ أَرْكَانِ دَوْلَتِهَا عَلَى هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ كَسَائِرِ الْكُتُبِ، إِنَّهُ كِتَابٌ مِنْ أَعْظَمِ الْمُلُوكِ فِي زَمَانِهَا وَمِنْ نَبِيِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ.

وَلَمَّا بَدَأَ أَرْكَانُ دَوْلَتِهَا يُدْلُونَ بِقُوَّتِهِمْ وَكَثْرَةِ جُيُوشِهِمْ  
 إِرْضَاءً وَتَمَلُّقًا، شَأْنُ جُلَسَاءِ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ فِي كُلِّ  
 زَمَانٍ وَمَكَانٍ، لَمْ تَقْبَلْ مَقَالَتَهُمْ وَلَمْ تَوَافِقْهُمْ عَلَيْهَا، بَلْ  
 حَذَرْتَهُمْ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ وَذَكَّرْتَهُمْ بِسِيرَةِ الْمُلُوكِ  
 الْفَاتِحِينَ فِي الْأُمَمِ الْمَفْتُوحَةِ وَمَصِيرِهَا بَعْدَ الْهَزِيمَةِ  
 وَالْانْكِسَارِ، وَقَالَتْ: سَيَكُونُ هَذَا شَأْنُ بِلَادِنَا وَأُمَّتِنَا،  
 وَقَالَتْ لَهُمْ: إِنِّي سَأَرْسِلُ إِلَى سُلَيْمَانَ بِهَدَايَا وَطُرْفٍ  
 فَأَمْتَحِنُهُ بِهَا، فَإِنْ قَبِلَ الْهَدِيَّةَ فَهُوَ مَلِكٌ فَقَاتِلُوهُ، وَإِنْ لَمْ  
 يَقْبَلْهَا فَهُوَ نَبِيٌّ فَاتَّبِعُوهُ.

### ١٠ - هَدِيَّةٌ مُسَاوِمَةٌ

وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ عَظِيمَةٍ لَا تَقَعُ بِالْمُلُوكِ، فَلَمَّا وَصَلَتْ  
 إِلَى سُلَيْمَانَ أَعْرَضَ عَنْهَا، وَزَهَدَ فِيهَا وَقَالَ: أَتُسَاوِمُونِي  
 بِمَالٍ لِأَتُرْكَكُمْ عَلَى شِرْكِكُمْ وَمُلْكِكُمْ. وَالَّذِي أَعْطَانِي اللَّهُ  
 مِنَ الْمُلْكِ وَالْمَالِ وَالْجُنُودِ خَيْرٌ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، وَالْأَمْرُ جَدُّ  
 لَيْسَ بِهَزْلٍ، وَالْقَضِيَّةُ قَضِيَّةُ دَعْوَةٍ وَطَاعَةٍ، لَيْسَتْ قَضِيَّةَ  
 مُسَاوِمَةٍ، وَتَوَعَّدَهُمْ بِقَصْدِهِ لَهُمْ وَزَحْفِهِ عَلَى مُلْكِهِمْ.

## ١١ - الْمَلِكَةُ تَأْتِي خَاضِعَةً

فَلَمَّا رَجَعَتْ هَذِهِ «الْبُعْثَةُ» إِلَى مَلِكَةِ سَبَأَ، وَحَكَّتْ لَهَا الْقِصَّةَ، سَمِعَتْ وَأَطَاعَتْ هِيَ وَقَوْمَهَا وَأَقْبَلَتْ تَسِيرُ إِلَيْهِ فِي جُنُودِهَا خَاضِعَةً، وَلَمَّا تَحَقَّقَ سُلَيْمَانُ ﷺ، قُدُومَهُمْ إِلَيْهِ فَرِحَ بِذَلِكَ وَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَرَادَ أَنْ يُرِيَهَا آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدَلَّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَنِعَمِهِ عَلَى سُلَيْمَانَ، فَأَرَادَ أَنْ يُحْضِرَ عَرْشَهَا الَّذِي وَكَّلَتْ بِهِ رِجَالاً أَقْوِيَاءَ أَمْنَاءَ، فَطَلَبَ مِنْ مَلَأِهِ أَنْ يَأْتُوهُ بِعَرْشِهَا قَبْلَ وُصُولِ هَذَا الْمَوْكِبِ الْعَظِيمِ.

وَقَدْ تَحَقَّقَ مَا أَرَادَ سُلَيْمَانُ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ وَكَانَ مُعْجِزَةً، وَأَمَرَ بِهِ سُلَيْمَانُ فُغِيرَ بَعْضُ صِفَاتِهِ لِيُخْتَبَرَ مَعْرِفَتُهَا وَثَبَاتُهَا عِنْدَ رَوْيَتِهِ، وَإِنْ التَّبَسَّ عَلَيْهَا الْأَمْرُ كَانَ دَلِيلًا عَلَى قُصُورِ نَظَرِهَا فِي أُمُورٍ أَدَقَّ مِنْهُ وَأَبْعَدَ مَنَالًا.

## ١٢ - قَصْرٌ عَظِيمٌ مِنْ رُجَاجٍ

وَأَمَرَ سُلَيْمَانُ الْبَنَائِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَبَنَوْا لَهَا

قَصْرًا عَظِيمًا مِنْ زُجَاجٍ وَأَجْرُوا تَحْتَهُ الْمَاءَ، فَالَّذِي لَا يَعْرِفُ أَمْرَهُ يَحْسِبُ أَنَّهُ مَاءٌ، وَلَكِنَّ الزُّجَاجَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَاشِيِّ وَبَيْنَ الْمَاءِ، وَكَانَ الْمُؤَكَّدُ أَنَّ الْمَلِكَةَ تَتَوَهَّمُهُ مَاءٌ فَتُكْشَفُ عَنْ سَاقِيهَا، وَهُنَالِكَ تَبَيَّنَ الْخَطَأُ وَتُذْرِكُ قُصُورَ نَظَرِهَا وَتَأْخِذُهَا بِالْمَظَاهِيرِ، وَكَانَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ لِأَنَّهَا أَكْبَرُ مَظْهَرٍ لِلنُّورِ وَالْحَيَاةِ، الَّتِي هِيَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُنَالِكَ يَنْكَشِفُ الْغِطَاءُ عَنْ عَيْنِهَا فَتَعْرِفُ أَنَّهَا كَمَا أَخْطَأَتْ فِي مُعَامَلَةِ الزُّجَاجِ مُعَامَلَةَ الْمَاءِ فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا كَذَلِكَ أَخْطَأَتْ فِي مُعَامَلَةِ الشَّمْسِ مُعَامَلَةَ الْخَالِقِ فَسَجَدَتْ لَهَا وَعَبَدَتْهَا، وَكَانَ ذَلِكَ أَبْلَغَ مِنْ مِئَةِ خُطْبَةٍ وَأَلْفِ دَلِيلٍ.

١٣ - وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَهَكَذَا كَانَ، فَقَدْ تَوَرَّطَتْ رَغَمَ دَهَائِهَا وَذَكَائِهَا فِي هَذَا الْخَطِئِ الْفَاحِشِ، وَتَوَهَّمَتْ الزُّجَاجَةَ مَاءً رَقْرَاقًا يَسِيلُ وَيَمُوجُ، فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا، وَأَرَادَتْ أَنْ تَخُوضَهُ.



هُنَالِكَ نَبَّهَهَا نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ عَلَى خَطِيئِهَا، وَقَالَ:  
 إِنَّهُ صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ، وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ عَنْ عَيْنِهَا،  
 وَعَرَفَتْ جَهْلَهَا فِي قِيَاسِ الْمَظْهَرِ عَلَى الظَّاهِرِ وَعِبَادَةِ  
 الشَّمْسِ وَالسُّجُودِ لَهَا، وَابْتَدَرَتْ تَقُولُ: ﴿رَبِّ إِنِّي  
 ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

#### ١٤ - الْقُرْآنُ يَحْكِي قِصَّةَ سُلَيْمَانَ

وَاقْرَأُوا هَذِهِ الْقِصَّةَ الشَّائِقَةَ الْمُمْتِعَةَ فِي الْقُرْآنِ،  
 يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنْ  
 الْفَاكِينَ ۚ (٢٠) لَاُعَذِّبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَاأَذِيعُهُ أَوْ  
 لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۚ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ  
 بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ مَبِينٍ يَقِينٍ ۚ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ  
 أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۚ (٢٣)  
 وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ  
 الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۚ (٢٤) أَلَا  
 يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا

تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ  
الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ  
﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا  
يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُمْ  
مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى  
وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرٍ مَا كُنْتُ  
قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ  
وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا  
قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾  
وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا  
جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ  
بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا  
قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ  
أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفْرَيْتُ مَنْ  
الْحَيْنَ أَنَا ءَالِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ  
﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَالِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ

إِلَيْكَ طَرُفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشَكَرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ .

وَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ وَقَدْ رَأَيْتُمْ مَوَاقِفَهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى التَّوْحِيدِ، وَحِكْمَتِهِ وَفَقْهِهِ وَغَيْرَتِهِ عَلَى دِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ .

١٥ - وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ  
وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا

نَسَبَ إِلَيْهِ الْيَهُودَ مَا لَا يَلِيقُ بِمُؤْمِنٍ مُوَحِّدٍ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِيمَانِ، فَضْلاً عَنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ،

وَأَكْرَمَهُ بِالنُّبُوَّةِ، وَشَرَّفَهُ بِالْخِلَافَةِ، فَنَسَبُوا إِلَيْهِ السَّحَرَ  
وَالْكُفْرَ وَالْمُدَاهَنَةَ لِلشِّرْكِ وَالْاضْطِرَابَ فِي أَمْرِ التَّوْحِيدِ  
بِسَبَبِ أَزْوَاجِهِ، فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَمَا  
كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ  
السَّحَرَ﴾. وَقَالَ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ  
أَوَّابٌ﴾ (٢٠). وَقَالَ: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لَظُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّثَابٍ﴾ (٤٠).





## قصة

### سيدنا أيوب وسيدنا يونس

#### ١ - قِصَّةُ أَيُّوبَ نَمَطٌ آخَرُ مِنَ الْقِصَصِ

وَقِصَّةُ أَيُّوبَ فِي الْقُرْآنِ نَمَطٌ آخَرُ مِنَ الْقِصَصِ ، وَمَظْهَرٌ آخَرُ مِنْ مَظَاهِرِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، الصَّابِرِينَ الشَّاكِرِينَ ، وَالْأَنْبِيَاءِ الْمَحْبُوبِينَ ؛ فَقَدْ كَانَ لَهُ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ شَيْءٌ كَثِيرٌ وَأَوْلَادٌ مَرْضِيَّةٌ ، فَأَبْتُلِيَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَذَهَبَ عَنْ آخِرِهِ ، ثُمَّ ابْتُلِيَ فِي جَسَدِهِ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ سَلِيمٌ سِوَى قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، يَذْكُرُ بِهِمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأُفْرِدَ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْبَلَدِ ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَخْنُو عَلَيْهِ ، سِوَى زَوْجَتِهِ كَانَتْ تَقُومُ بِأَمْرِهِ ، وَاحْتَاجَتْ أَيْضاً فَصَارَتْ تَخْدُمُ النَّاسَ مِنْ أَجْلِهِ<sup>(١)</sup> .

(١) العبارة لابن كثير في تفسيره .

## ٢ - صَبْرُ أَيُّوبَ

وَكَانَ رَغَمَ كُلِّ ذَلِكَ صَابِرًا شَاكِرًا يُلْهَجُ لِسَانُهُ بِالذِّكْرِ  
وَالشُّكْرِ، لَا يَشْكُو، وَلَا يَتَعَتَّبُ، وَلَا يَتَذَمَّرُ، وَلَا  
يَغْضَبُ، وَدَامَ عَلَى ذَلِكَ سِنِينَ طَوَالًا.

## ٣ - مِحْنَةٌ وَمِنْحَةٌ

وَلَمَّا تَمَّ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ ابْتِلَاءٍ، وَمَا أَرَادَ بِهِ مِنْ  
تَكْمِيلٍ، وَرَفَعَ دَرَجَاتٍ، وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ، أَلْهَمَهُ الدُّعَاءَ  
الْمُسْتَجَابَ الَّذِي تَجَلَّى فِيهِ عَجْزُهُ وَبُؤْسُهُ، وَأَنْ لَا مَلْجَأَ  
مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَعَافَاهُ اللَّهُ  
فِي بَدَنِهِ وَأَهْلِهِ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مَالَهُ، وَبَارَكَ لَهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ،  
فَكَانَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ  
الرَّحِيمِينَ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ  
وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى  
لِلْعَالِينَ ﴿٨٤﴾ .

#### ٤ - قِصَّةُ يُونُسَ وَحِكْمَتُهَا

وَتَأْتِي قِصَّةُ يُونُسَ مَقْرُونَةً بِقِصَّةِ أَيُّوبَ مُؤَيَّدَةً لَهَا فِي  
إِثْبَاتِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ وَإِغَاثَتِهِ لَهُمْ حِينَ  
يَنْقَطِعُ الرَّجَاءُ وَيَغْشَى الْيَأْسُ الْقَاتِلُ وَالظَّلَامُ الْحَالِكُ،  
وَتَنْسَدُ جَمِيعُ الْمَنَافِدِ، فَلَا نُورَ وَلَا هَوَاءَ، وَلَا أَمَلَ وَلَا  
رَجَاءَ، يَدُورُ رَحَى الْمَوْتِ قُوَّةً سَرِيعَةً تَطْحَنُ حَبَّةَ الْحَيَاةِ  
نَاعِمَةً دَقِيقَةً.

هُنَالِكَ تَبَرُّزُ يَدُ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، الْقُوَّةِ الْقَاهِرَةِ،  
الرَّحِيمَةِ الْحَكِيمَةِ، فَتُخْرِجُ هَذَا الْإِنْسَانَ الضَّعِيفَ مِنْ  
أَشْدَاقِ الْأَسَدِ الضَّارِي وَالْمَوْتِ الْفَاتِكِ، فَيُخْرِجُ سَلِيمًا  
غَيْرَ مَخْدُوشٍ، كَامِلًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ، كَأَنَّمَا كَانَ عَلَى  
فِرَاشِهِ فِي بَيْتِهِ، مَحْفُوظًا بَيْنَ أَهْلِهِ.

#### ٥ - يُونُسُ بَيْنَ قَوْمِهِ

وَهَذِهِ قِصَّةُ يُونُسَ: بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ قَرْيَةٍ «نَيْنُوا»  
فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَأَبَوْا عَلَيْهِ، وَتَمَادَوْا فِي

كُفِّرِهِمْ، فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ مُغَاضِباً لَهُمْ وَوَعَدَهُمْ  
 بِالْعَذَابِ بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَلَمَّا تَحَقَّقُوا مِنْهُ ذَلِكَ وَعَلِمُوا أَنَّ  
 النَّبِيَّ لَا يَكْذِبُ خَرَجُوا إِلَى الصَّحَرَاءِ بِأَطْفَالِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ  
 وَمَوَاشِيهِمْ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْأُمّهَاتِ وَأَوْلَادِهِنَّ، ثُمَّ تَضَرَّعُوا  
 إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَجَارُوا إِلَيْهِ، وَرَغَتِ الْإِبِلُ  
 وَفُضِّلَتْهَا، وَخَارَتِ الْبَقَرُ وَأَوْلَادُهَا، وَثَغَتِ الْغَنَمُ  
 وَسِخَالُهَا؛ فَرَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا  
 ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى  
 حِينٍ﴾ (٩٨)

## ٦ - يُونُسُ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ

وَأَمَّا يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ ذَهَبَ فَرَكِبَ مَعَ قَوْمٍ فِي  
 سَفِينَةٍ، فَجَنَحَتْ بِهِمْ، وَخَافُوا أَنْ يَغْرُقُوا، فَأَقْتَرَعُوا عَلَى  
 رَجُلٍ يُلْقُونَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ يَتَخَفَّفُونَ مِنْهُ، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى  
 يُونُسَ، فَأَبُوا أَنْ يُلْقُوهُ، ثُمَّ أَعَادُوهَا، فَوَقَعَتِ عَلَيْهِ أَيْضاً



فَأَبُوا، ثُمَّ أَعَادُوهَا فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ أَيْضاً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ (١٤١) ﴿١﴾.

أَيُّ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ، فَقَامَ يُونُسُ ﷺ وَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ، ثُمَّ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ، وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حُوتاً يَشُقُّ الْبَحَارَ حَتَّى جَاءَ فَالْتَقَمَ يُونُسَ حِينَ أَلْقَى نَفْسَهُ مِنَ السَّفِينَةِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ الْحُوتِ أَنْ لَا تَأْكُلَ لَهُ لَحْماً، وَلَا تَهْشِمَ لَهُ عَظْماً<sup>(١)</sup>.

## ٧ - وَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ

فَكَانَ فِي ظُلْمَةٍ بَطْنِ الْحُوتِ، فِي ظُلْمَةِ الْبَحْرِ، فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فَمَا أَشَدَّ الظُّلَامَ! وَمَا أَبْعَدَ السَّلَامَ، وَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُكُثَ ثُمَّ أَلْهَمَهُ اللَّهُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تُبَدِّدُ الظُّلُمَاتِ وَتَكْشِفُ الْكُرْبَاتِ وَتَسْتَنْزِلُ الرَّحْمَةَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، وَاسْمَعِ الْقُرْآنَ يَحْكِي هَذِهِ الْقِصَّةَ الْغَرِيبَةَ الْفَرِيدَةَ الَّتِي

(١) العبارة لابن كثير في تفسيره.

فِيهَا سَلَوَىٰ لِكُلِّ بَائِسٍ مَلْهُوفٍ، وَيَائِسٍ مُضْطَرِبٍ قَدْ  
ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ،  
وَرَأَى عَيَانًا أَنَّ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ  
فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي  
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ  
وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.





## قِصَّةُ سَيِّدِنَا زَكَرِيَّا ﷺ

### ١ - دُعَاءُ زَكَرِيَّا لِوَلَدٍ صَالِحٍ

وَلَوْ أَنَّ آخِرَ مَنْ آلَاءِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ آيَاتٍ قُدِّرَتْهُ الَّتِي  
أَحَاطَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ، تَجَلَّى فِي دُعَاءِ زَكَرِيَّا لِوَلَدٍ صَالِحٍ،  
رَضِيٍّ، بَرٍّ، تَقِيٍّ، يَرِثُهُ وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ، وَيَقُومُ  
بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَذَلِكَ حِينَ تَقَدَّمَتْ بِهِ السُّنُّ، وَوَهَنَ  
مِنْهُ الْعَظْمُ، وَلَجَّ بِهِ الشَّيْبُ، وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ مِنْ أَنْ تَلِدَ  
زَوْجُهُ، فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَهُ وَكَذَّبَ ظُنُونُ النَّاسِ،  
وَأَبْطَلَ التَّجَارِبَ الْقَدِيمَةَ، فَرَزَقَهُ وَلَدًا رَاشِدًا، بَكَرَ بِهِ  
النُّبُوغُ وَالْحِكْمَةُ، وَالْحِلْمُ وَالْعِلْمُ، وَالْكِتَابُ فِي الصَّغَرِ،  
وُحْصَ بِالْحَنَانِ وَالصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى وَالْبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ،  
وَالرَّقَّةِ وَلَيْنِ الْكَنْفِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَرَبَطَ اللَّهُ عَلَى  
قَلْبِ زَكَرِيَّا، وَأَرَاهُ آيَاتٍ تَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ،

وَأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَأَرَاهُ تَصَرُّفَهُ فِي خَلْقِهِ وَفِي أَعْضَاءِ جِسْمِهِ يُحَرِّكُ مَا يَشَاءُ وَيُعْطِلُ مَا يَشَاءُ، وَتَحَقَّقَ لَهُ أَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ بِيَدِهِ، يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، وَيَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

## ٢ - نَذَرُ امْرَأَةِ عِمْرَانَ

وَقَدْ نَذَرَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ مِنْ أُسْرَةِ سَيِّدِنَا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَتْ امْرَأَةً صَالِحَةً تُحِبُّ اللَّهَ وَتُحِبُّ دِينَهُ أَنهَا إِذَا وَلَدَتْ ذَكَرًا تَهَبُ هَذَا الْوَلَدَ لِلَّهِ لِيَخْدُمَهُ دِينِهِ، وَسَأَلَتِ اللَّهَ أَنْ يَتَقَبَّلَ هَذَا الْوَلَدَ وَيَنْفَعَ بِهِ دِينَهُ وَعِبَادَهُ، وَأَنْ يَكُونَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ وَإِمَامًا مِنْ أَيْمَةِ الْهُدَى.

## ٣ - قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى

وَأَرَادَتِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ أُمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ أُمْرًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَصْلَحَةِ عِبَادِهِ، فَإِذَا هِيَ تَلِدُ أُنْثَى، فَتَحْزَنُ لِذَلِكَ وَتَعْشَاهَا الْكَآبَةَ، وَلَكِنَّ الْوَلِيدَةَ لَمْ تَكُنْ كَكُلِّ أُنْثَى، بَلْ

كَانَتْ أَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ، وَأَعْلَى هِمَّةً فِي الطَّاعَاتِ  
وَالْخَيْرَاتِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْفُتَيَّانِ، وَإِذَا قَدَّرَ اللَّهُ - لِحِكْمَةٍ  
يَعْلَمُهَا - أَنْ تَكُونَ أَنْثَى، وَالنُّبُوَّةُ لَا يَضْطَلِعُ بِأَعْبَائِهَا إِلَّا  
الرِّجَالُ، فَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ أُمًّا لِنَبِيِّ صَالِحٍ يَكُونُ لَهُ  
شَأْنٌ:

﴿إِذْ قَالَتْ أَمْرَأْتُ عِمْرَانُ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي  
مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ  
رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ  
كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ  
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾.

#### ٤ - عِنَايَةُ اللَّهِ بِالْفَتَاةِ الصَّالِحَةِ

وَكَانَتْ فِي كِفَالَةِ سَيِّدِنَا زَكْرِيَّا لِمَكَانَتِهَا مِنْهُ، وَفِي  
رِعَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَ اللَّهُ يُكْرِمُهَا بِالْأَثْمَارِ وَالْفَوَاكِهِ  
فِي غَيْرِ أَوَانِهَا وَفِي غَيْرِ مَكَانِهَا، تَأْكُلُ مِنْهَا مَا تَشَاءُ  
وَتَهْبُ مِنْهَا مَا تَشَاءُ:

﴿فَنَقَّبَلْنَا رَبُّهَا يَقْبُولُ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا

زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ  
يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ  
يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ .

## ٥ - إلهاماً مِنَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ

وَاللَّهُمَّ اللَّهُ زَكَرِيَّا، وَهُوَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَمِنْ  
الْعُقَلَاءِ الْأَذْكِيَاءِ، أَنَّ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُكْرِمَ فَتَاةً  
صَالِحَةً، أَخْلَصَتْ أُمُّهَا فِي النَّذْرِ بِهَا وَالِدُعَاءِ لَهَا،  
وَأَخْلَصَتْ هِيَ فِي الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ، بِفَوَاكِهَ سَابِقَةٍ لِرِمَانِهَا  
أَوْ مُتَأَخِّرَةٍ عَنْ أَوَانِهَا، يَقْدِرُ أَنْ يَهَبَ شَيْخًا قَدْ طَعَنَ فِي  
السِّنِّ وَعِلَاهُ الشَّيْبُ، وَأَثَرٌ فِيهِ الْوَهْنُ وَلَدًا قَدْ انْقَطَعَ مِنْهُ  
الرَّجَاءُ لِعُلُوِّ السِّنِّ، وَعُقْرِ الزَّوْجِ، وَجَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ لَا  
يُولَدَ لِرَجُلٍ فِي هَذِهِ الْحَالِ.

فَجَاشَتْ نَفْسُهُ، وَعَلَتْ هِمَّتُهُ، وَانْتَعَشَ الْأَمَلُ،  
وَقَوِيَتْ الثِّقَّةُ بِالرَّبِّ، فَفَاضَ لِسَانُهُ بِدُعَاءٍ أَمَّنْتَ عَلَيْهِ  
الْمَلَائِكَةُ وَتَحَرَّكَتْ بِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَكَانَ كُلُّهُ إلهاماً مِنَ

الرَّبُّ الرَّحِيمُ، وَتَقْدِيرًا مِنَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ:  
﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً  
طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٣٨).

## ٦ - بَشَارَةُ وَلَدٍ

وَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ، وَتَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ الْبَشَارَةُ بِوَلَدٍ  
صَالِحٍ قَرَبَ زَمَانُ وَلَادَتِهِ.

وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ، فَطَلَبَ أَمَارَةً عَلَى إِمْكَانٍ  
هَذَا الْحَدِيثِ الْكَبِيرِ وَقُرْبِ ظُهُورِهِ، فَقَالَ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ  
لِي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا  
وَأَذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَكَبَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ فَالْقَادِرُ  
الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْلُبَ خَوَاصَ الْأَشْيَاءِ، فَيَجْعَلُ  
اللِّسَانَ النَّاظِقَ أَبْكَمَ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَرَّكَ بِكَلِمَةٍ،  
يَسْتَطِيعُ أَنْ يُودِعَ مَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ مَا شَاءَ مِنْ  
خَوَاصِّ، وَالْقَوِيُّ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَ يَسْتَطِيعُ أَنْ  
يُعْطِيَ.

## ٧ - آيَاتُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ

وَزَهَرَتْ آيَاتُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ فِي جِسْمِهِ ثُمَّ فِي بَيْتِهِ  
وَأُسْرَتِهِ، وَوُلِدَ يَحْيَى، فَقَرَّتْ بِهِ عَيْنُهُ، وَاشْتَدَّ بِهِ أَرْزُهُ،  
وَعَاشَتْ بِهِ دَعْوَتُهُ.

وَاسْمَعُوا الْقُرْآنَ يَحْكِي هَذِهِ الْقِصَّةَ تَارَةً فِي إِيْجَازٍ  
وَطَوْرًا فِي تَفْصِيلٍ، فَيَقُولُ:

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ  
خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى  
وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ  
وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

## ٨ - يَحْيَى يَضْطَلِعُ بِأَعْبَاءِ الدَّعْوَةِ

وَيُولَدُ يَحْيَى فَيَكُونُ قُرَّةَ عَيْنٍ لِأَبَوَيْهِ، وَخَلِيفَةً لِوَالِدِهِ  
الْعَظِيمِ، فَيَضْطَلِعُ بِأَعْبَاءِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَالِدَيْنِ  
الْخَالِصِ، وَتَظْهَرُ فِيهِ آثَارُ النَّجَابَةِ مِنْذُ الصَّغَرِ، فَيُقْبَلُ  
عَلَى الْعِلْمِ بِشَغَفٍ وَهُوَ غُلَامٌ، وَيَتَحَلَّى بِالصَّلَاحِ



وَالتَّقْوَى وَهُوَ شَابٌ، وَيَمْتَّازُ عَنْ أَقْرَانِهِ فِي الْحُبِّ  
وَالْحَنَانِ، وَالْبِرِّ بِالْأَبْوَيْنِ يُشَارُ فِي ذَلِكَ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ،  
يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِباً لَهُ:

﴿يَبِيحُيْ خُذِ الْحِكْمَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا ۝  
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝  
جَبَّارًا عَصِيًّا ۝ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ  
حَيًّا ۝﴾



## قِصَّةُ سَيِّدِنَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

### ١ - قِصَّةُ خَارِقَةِ لِلْعَادَةِ

وَيَجِيءُ دَوْرُ سَيِّدِنَا عِيسَى ، وَهُوَ آخِرُ الرُّسُلِ ، قَبْلَ  
نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ قِصَّةٌ تَجَلَّتْ فِيهَا  
إِرَادَةُ اللَّهِ الْقَاهِرَةِ ، وَقُدْرَةُ اللَّهِ الْمَظْلَقَةِ ، وَحِكْمَةُ اللَّهِ  
الدَّقِيقَةِ ، فَأَمْرُهُ كُلُّهُ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ، وَوِلَادَتُهُ خَارِقَةٌ  
لِلْعَادَةِ ، حَارَتْ فِيهَا الْأَلْبَابُ ، وَنُسِخَتْ فِيهَا الْقَوَانِينُ  
الطَّبِيعِيَّةُ ، وَشَقَّ الْإِيمَانُ بِهَا وَالتَّصَدِيقُ لَهَا عَلَى مَنْ آمَنَ  
بِالْقَوَانِينِ الطَّبِيعِيَّةِ كَالِهٍ لَا يَزُولُ وَلَا يَحُولُ ، وَآمَنَ  
بِالتَّجَرِبَةِ ، وَالْمُشَاهَدَةِ ، وَبِأَحْكَامِ الطَّبِّ وَالطَّبِيعَةِ  
كَنَامُوسٍ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ ، وَجَهِلَ قُدْرَةَ اللَّهِ الَّتِي  
أَحَاطَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَغَلَبَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِرَادَتُهُ

الَّتِي لَا يَحُولُ دُونَهَا شَيْءٌ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾.

وَهَآنَ هَذَا الْإِيمَانُ عَلَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ كَلِيلُهُ قَادِرٌ مُرِيدٌ، خَالِقِ صَانِعٌ، ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾.

وَأَمَّنْ بِخَلْقِ آدَمَ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ، وَمِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَأَبٍ، وَوِلَادَةٍ مِنْ أُمٍّ مِنْ غَيْرِ أَبٍ أَهْوَنُ وَأَيْسَرُ لِلتَّصَدِيقِ مِنْ وَِلَادَةٍ مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَأَبٍ، لِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٩﴾.

## ٢ - أَمْرُ كُلِّهِ عَجَبٌ

وَأَمْرُ سَيِّدِنَا عِيسَى كُلُّهُ عَجَبٌ، وَقَدْ كَانَتْ وَِلَادَتُهُ فِي عَصْرِ بَلَغَتْ فِيهِ «يُونَانُ» أَوْجَهَا فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ، وَكَانَتْ لِلطَّبِّ دَوْلَةٌ وَصَوْلَةٌ.

### ٣ - خُضُوعُ الْيَهُودِ لِلْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ

وَخَضَعَ الْيَهُودُ - وَهُمْ أُمَّةٌ كَثُرَ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ - لِلْعُلُومِ  
السَّائِدَةِ فِي عَصْرِهِمْ، وَاشْتَهَرَ فِيهِمْ انْكَارُ الرُّوحِ وَمَا  
يَتَّصِلُ بِهَا، وَاعْتَادُوا أَنْ يُفَسِّرُوا كُلَّ مَا يَرَوْنَهُ تَفْسِيرًا  
مَادِّيًّا، فَلَا وَجُودَ لَشَيْءٍ عِنْدَهُمْ وَلَا إِمْكَانَ لِحَادِثٍ إِلَّا  
بِالسَّبَبِ وَالْعِلَّةِ، فَكَانَتِ الْمُعْجَزَاتُ الَّتِي أَكْرَمَ اللَّهُ بِهَا  
سَيِّدَنَا عِيسَى عِلَاجًا لِلْعَقْلِ الْمَادِّي الضَّيِّقِ، وَحَاجَةِ  
الْعَصْرِ وَنِدَاءِ الزَّمَانِ.

وَأَمَعَنَ الْيَهُودُ فِي الْوُقُوفِ عِنْدَ الظَّاهِرِ وَالتَّمَسُّكِ  
بِالْقُشُورِ دُونَ اللَّبَابِ، وَالتَّشَبُّثِ بِالْمَظَاهِرِ دُونَ الْحَقِيقَةِ،  
وَعَلُّوا فِي تَقْدِيسِ الْعُنْصُرِ، وَالدَّمِ، وَفِي حُبِّ الْمَالِ  
وَالْمَادَّةِ، وَانْتِهَمَكُوا فِي الْحَيَاةِ انْهَمَاكًا زَائِدًا، وَقَسَتْ  
قُلُوبُهُمْ، وَجَفَتْ طِبَائِعُهُمْ، فَلَا يَرْقُونَ لِلضَّعِيفِ، وَلَا  
يُعْطِفُونَ عَلَى الْفَقِيرِ، وَيُعَامِلُونَ مَنْ لَا يَجْرِي فِي عُرُوقِهِ  
الدَّمُ الْإِسْرَائِيلِيُّ مُعَامِلَةَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْكِلابِ أَوْ  
الْجَمَادَاتِ الَّتِي لَا رُوحَ فِيهَا، وَيَخْضَعُونَ لِلْأَقْوِيَاءِ

وَالْأَغْنِيَاءَ، وَيَتَجَبَّرُونَ عَلَى الصَّغَارِ الْفُقَرَاءَ، وَيَقْسُونَ  
عِنْدَ الْقُدْرَةِ، وَيَلِينُونَ عِنْدَ الْعَجْزِ، وَقَدْ وَلَدَتْ فِيهِمْ حَيَاةُ  
الذُّلِّ وَالْعُبُودِيَّةِ الَّتِي عَاشُوهَا فِي الْحُكْمِ الرُّومَانِيِّ الَّذِي  
دَامَ مُدَّةً طَوِيلَةً فِي سُورِيَا وَفِلَسْطِينَ، النِّفَاقَ وَالْخُنُوعَ،  
وَالْتَّحِيلَ وَاللَّهَاءَ، وَاللَّجُوءَ إِلَى الْمُؤَامَرَةِ وَالسَّرِيَّةِ.

#### ٤ - اسْتِخْفَافٌ وَتَمَرُّدٌ

وَوَلَدَ فِيهِمِ الْاسْتِخْفَافُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْاجْتِرَاءُ عَلَيْهِمُ،  
حَتَّى بِالْقَتْلِ، وَالتَّعَامُلُ بِالرَّبَّاءِ، وَالْعَبَثُ بِالتَّعَالِيمِ الدِّينِيَّةِ،  
الْغِلْظَةُ وَالْجَفَافُ، وَضَعْفُ الْعَاطِفَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَتَجَرَّدَتْ  
قُلُوبُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ مِنْ حُبِّ اللَّهِ الْخَالِصِ، وَالرَّحْمَةِ عَلَى  
الْإِنْسَانِ - مَهْمَا كَانَ أَضْلُهُ وَفَضْلُهُ - وَاحْتِرَامِ الْإِنْسَانِيَّةِ،  
وَكَاذُوا يَنْسَوْنَ مَعَانِي الْمُوَاسَاةِ وَالْمُسَاوَاةِ وَالْبِرِّ وَالْكَرَمِ،  
وَكَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالنَّبِوَاتِ وَالرِّسَالَاتِ، وَقَدْ كَثُرَتْ فِيهِمُ  
الْأَنْبِيَاءُ، وَزَخَرَتْ صُحُفُهُمْ بِأَخْبَارِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ قَدْ  
أَضْبَحُوا فِي الزَّمَنِ الْأَخِيرِ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِمَا وَافَقَ  
هَوَاهُمُ، وَأَيَّدَهُمْ فِي سِيرَتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، أَمَّا مَنْ

اُنْتَقَدَهُمْ وَحَاسَبَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الصَّحِيحِ، وَالْحَقِّ  
الصَّارِحِ، وَإِصْلَاحِ الْحَالِ، عَادُوهُ وَحَارِبُوهُ، وَكَانَتْ  
عِنْدَهُمْ جَرَاءَةٌ عَلَى الْبُهْتِ وَالْإِفْتِرَاءِ، وَكِثْمَانِ الْحَقِّ،  
وَشَهَادَةِ الزُّورِ.

### ٥ - نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَكَانُوا أُمَّةً تَمْتَازُ عَنِ الْأُمَمِ الْمُعَاَصِرَةِ لَهُمْ، بِعَقِيدَةِ  
التَّوْحِيدِ، وَذَلِكَ سِرُّ تَفْضِيلِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ حِينَئِذٍ، وَقَدْ  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿يَبْنَیْ إِسْرَءِیْلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِیْ اَنْعَمْتُ عَلَیْكُمْ وَاَنِّیْ فَضَّلْتُكُمْ  
عَلَى الْعَالَمِیْنَ﴾.

### ٦ - نُكْرَانُ الْجَمِیلِ

وَلَكِنْ تَسَرَّبَتْ إِلَيْهِمْ بِحُكْمِ الْاِخْتِلَاطِ وَمُجَاوَرَةِ  
الشُّعُوبِ الْمُشْرِكَةِ الْوُثْنِيَّةِ، وَيَطُولُ الْعَهْدُ بِتَعَالِيمِ  
الْأَنْبِيَاءِ، عَقَائِدُ زَائِفَةٌ، وَعَادَاتُ جَاهِلِيَّةٌ، وَقَدْ عَبْدُوا  
الْعِجْلَ فِي مِصْرَ، وَبَالَغُوا فِي تَقْدِيسِ عُزْرِ وَتَعْظِيمِهِ،

حَتَّى تَخْطُوا بِهِ حُدُودَ الْبَشَرِيَّةِ، وَبَلَغَتْ بِهِمُ الْوَقَاحَةُ إِلَى  
أَنْ نَسُبُوا بَعْضَ أَعْمَالِ الشَّرِّكَ وَالْوَثْنِيَّةِ، وَأَعْمَالِ السُّحْرِ  
وَالْكُفْرِ، وَالْأَفْعَالِ الشَّنِيعَةِ، إِلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَمْ  
يَتَّقُوا اللَّهَ فِيهِمْ.

## ٧ - زَهُوٌّ وَإِذْلَالٌ

وَكَانُوا رَغَمَ كُلِّ ذَلِكَ شَدِيدِي الإِذْلَالِ بِالنَّسَبِ،  
شَدِيدِي الْاعْتِمَادِ عَلَى الْأَمَانِيِّ وَالْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ:  
﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾، ويقولون: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ  
إِلَّا أَنْكَامًا مَعْدُودَةً﴾.

## ٨ - وَلَادَةُ الْمَسِيحِ تَتَحَدَّى الْمَحْسُوسَ الْمَعْرُوفَ

وَكَانَتْ وَلَادَةُ الْمَسِيحِ وَحَيَاتُهُ وَدَعْوَتُهُ وَمَعِيشَتُهُ تَتَحَدَّى  
لِكُلِّ ذَلِكَ، تَتَحَدَّى لِلْمَحْسُوسِ الْمُقَرَّرِ، تَتَحَدَّى لِلْأَعْرَافِ  
الشَّائِعَةِ، وَالْعَادَاتِ الْمُتَّبَعَةِ، وَالْقَوَانِينِ الْمَرْسُومَةِ،  
وَالْمَثُلِ الْعُلْيَا الَّتِي يُؤْمِنُ بِهَا الْيَهُودُ، وَالْغَايَاتِ الَّتِي

يَتَنَافَسُونَ فِيهَا، وَيَتَقَاتِلُونَ عَلَيْهَا، فَوُلِدَ مِنْ طَرِيقَةٍ غَيْرِ  
 مَأْلُوفَةٍ، وَكَلَّمَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَنَشَأَ فِي أَحْضَانِ أُمِّ  
 فَقِيرَةٍ مُتَبَتِّلَةٍ، وَعَاشَ فِي جَوْ مَلِيٍّ بِالطَّعْنِ وَالْقَدْحِ، بَعِيدٍ  
 عَنْ مَظَاهِرِ الْعِظَمَةِ وَالْغِنَى، يُجَالِسُ الْفُقَرَاءَ، وَيُؤَاكِلُهُمْ  
 وَيَحْنُو عَلَيْهِمْ، وَيُوَاسِي الضُّعَفَاءَ وَالْغُرَبَاءَ، وَلَا يُفَرِّقُ  
 بَيْنَ فَقِيرٍ وَغَنِيٍّ، وَحَاكِمٍ وَمَحْكُومٍ، وَشَرِيفٍ وَوَضِيعٍ.

## ٩ - مُعْجَزَاتُ الْمَسِيحِ

وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالنُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ، وَآتَاهُ الْإِنْجِيلَ، وَأَيَّدَهُ  
 بِرُوحِ الْقُدُسِ، وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ، يَشْفِي اللَّهُ بِهِ  
 الْمَرْضَى الَّذِينَ عَجَزَ عَنْ مُدَاوَاتِهِمُ الْأَطِبَّاءُ، وَيُبْرِئُ  
 الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَيَخْلُقُ  
 لِلنَّاسِ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، فَيَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا  
 بِإِذْنِ اللَّهِ، وَيُنَبِّئُ بِمَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ وَيَدْخِرُونَهُ فِي بُيُوتِهِمْ.

فَيُعِيدُ بِكُلِّ ذَلِكَ الثِّقَةَ بِمَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ مِنْ خَبَرِ  
 مُعْجَزَاتِ الرُّسُلِ، وَأَخْبَارِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَقُوَّةِ الْإِرَادَةِ



الرَّبَّانِيَّةَ، فَقَرَّرُوا أَنْ لَا جَدِيدَ وَأَنْ لَا مَزِيدَ فِيمَا عَلِمُوهُ  
وَشَاهَدُوهُ.

#### ١٠ - دَعْوَتُهُ إِلَى الدِّينِ وَتَكْذِيبُهُ الْيَهُودَ

وَكَذَبَ الْيَهُودَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا تَحَيَّلُوهُ وَغَلَّوْا فِيهِ،  
وَحَرَّمُوا مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ، وَأَحَلُّوا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ، فَقَامَ  
يَدْعُوهُمْ إِلَى رُوحِ الدِّينِ وَلُبَابِهِ، وَأَضْلَاهُ وَحَقِيقَتِهِ،  
وَالْحُبُّ لِلَّهِ حُبًّا يَغْلِبُ عَلَى كُلِّ حُبٍّ، وَالرَّحْمَةُ عَلَى  
الْإِنْسَانِيَّةِ وَاحْتِرَامِهَا، وَالْمَوَاسَاةُ لِلْفُقَرَاءِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى  
التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، وَرَفُضِ كُلِّ مَا دَخَلَ عَلَى دِينِ الْأَنْبِيَاءِ  
مِنْ عَادَاتٍ جَاهِلِيَّةٍ، وَعَقَائِدَ بَاطِلَةٍ.

#### ١١ - الْيَهُودَ يَنْصُبُونَ لَهُ الْحَرْبَ

وَشَقَّ كُلَّ ذَلِكَ عَلَى الْيَهُودِ، وَنَصَبُوا لَهُ الْحَرْبَ،  
وَرَمَوْهُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَرَشَقُوهُ بِالثُّهَمِ وَالْقَذَائِفِ،  
وَتَنَاوَلُوهُ بِالسَّبِّ الْقَبِيحِ وَالْقَوْلِ الْبَذِيءِ، وَتَنَاوَلُوا أُمَّهُ  
مَرِيَمَ الْبَتُولَ بِالْقَذْفِ وَالطَّعْنِ، وَعَاكَسُوهُ وَطَارَدُوهُ،

وَأَهَاجُوا لَهُ الْأَوْبَاشَ، وَسَدُّوا فِي وَجْهِهِ الطَّرَقَ.

## ١٢ - قِصَّةُ عِيسَى فِي الْقُرْآنِ

ثُمَّ أَرَادُوا قَتْلَهُ وَالتَّخْلُصَ مِنْهُ، فَحَمَاهُ اللَّهُ وَرَدَّ كَيْدَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ وَكَرَّمَهُ، اقْرَأُوا قِصَّتَهُ فِي الْقُرْآنِ:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بِبَشَرِكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحْدِلَ

لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ  
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا  
صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ (٥١) ﴿﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ  
مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا  
بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ (٥٢) رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ  
وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝ (٥٣) وَمَكَرُوا  
وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى إِنِّي  
مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ  
الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى  
مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ (٥٥) فَأَمَّا  
الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا  
لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝ (٥٧) ذَلِكَ  
نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ۝ (٥٨) إِنَّ مَثَلَ عِيسَى  
عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ  
۝ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿﴾

### ١٣ - سِيرَتُهُ وَدَعْوَتُهُ فِي الْقُرْآنِ

وَاقْرَأُوا وَصَفَهُ تَعَالَى لِسِيرَتِهِ وَدَعْوَتِهِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ  
إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ  
مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا  
بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ  
وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ﴾.

### ١٤ - صِرَاعٌ قَدِيمٌ

وَوَقَعَ لِسَيِّدِنَا عِيسَى مَا وَقَعَ لِلْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، فَابْتَعَدَ عَنْهُ  
الرُّؤَسَاءُ وَالزُّعَمَاءُ، وَهَجَرَهُ الْأَغْنِيَاءُ وَالْأَقْوِيَاءُ، وَرَأَوْا  
فِي الْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ غَضَاظَةً وَعَيْبًا، وَشَقَّ عَلَيْهِمُ  
التَّنَازُلُ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ رِيَاةٍ وَزَعَامَةٍ وَامْتِيَّازٍ  
وَسِيَادَةٍ، وَصَدَقَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا  
أُرْسِلْتُمْ بِهِءٍ كَافِرُونَ ۖ﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا  
وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۖ﴾.

## ١٥ - إِيْمَانُ عَامَّةِ النَّاسِ وَفُقَرَائِهِمْ

وَلَمَّا يَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ، وَشَاهَدَ فِيهِمُ الْعِنَادَ وَالْكُفْرَ،  
وَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ جَحَدُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ آيَاتِ بَيِّنَاتٍ،  
وَمُعْجَزَاتٍ بَاهِرَاتٍ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ، وَاسْتَصْغَرُوهُ لِأَنَّهُ  
لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ حَوْلٍ وَطَوَّلٍ، أَقْبَلَ عَلَى عَامَّةِ النَّاسِ  
وَفُقَرَائِهِمْ، وَقَدْ لَانَتْ قُلُوبُهُمْ، وَصَفَتْ نُفُوسُهُمْ، لِأَنَّهُمْ  
يَأْكُلُونَ بِكَدِّ يَمِينِهِمْ وَعَرَقِ جَبِينِهِمْ، لَا يَتَفَاخَرُونَ بِنَسَبٍ،  
وَلَا يَتَطَاوَلُونَ بِجَاهٍ وَمَنْصِبٍ، فَاْمَنَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ، فِيهَا  
الْقَصَّارُونَ، وَفِيهَا صَيَّادُ الْأَسْمَاكِ، وَفِيهَا أَهْلُ الْحِرَفِ  
وَالْمِهَنِ.

## ١٦ - نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ

فَاْمَنُوا بِالْمَسِيحِ وَالتَّفُّوا حَوْلَهُ، وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ فِي  
يَدَيْهِ وَقَالُوا: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي  
إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَاْمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ

بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ  
فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ .

## ١٧ - سِيَّاحَةٌ وَدَعْوَةٌ

وَكَانَ سَيِّدُنَا عِيسَى يَقْضِي أَكْثَرَ أَوْقَاتِهِ فِي  
السِّيَّاحَةِ، وَالْإِنْتِقَالَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، يَدْعُو بَنِي  
إِسْرَائِيلَ إِلَى اللَّهِ وَيَهْدِي خِرَافَهُمُ الضَّالَّةَ إِلَى رَبِّهَا  
وَسَيِّدِهَا وَيَتَفَقُّ لَهُ فِي هَذِهِ الْجَوْلَاتِ وَالرَّحَلَاتِ الْيُسْرُ  
وَالْعُسْرُ، وَالضِّيقُ وَالرَّخَاءُ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ صَابِرًا،  
وَيَقْبَلُ هَذَا شَاكِرًا، وَيَصْبِرُ عَلَى الْجُوعِ، وَيَجْتَزِي بِمَا  
يَسُدُّ الرَّمَقَ.

## ١٨ - الْحَوَارِيُّونَ يَطْلُبُونَ مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ

أَمَّا الْحَوَارِيُّونَ فَلَمْ يَكُونُوا بِمَنْزِلَتِهِ مِنَ الصَّبْرِ وَالْجَلْدِ  
وَالْتَّقَشُّفِ وَالزَّهَادَةِ، وَأَصَابَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَطَلَبُوا  
مِنْ سَيِّدِنَا عِيسَى أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يُنْزِلَ لَهُمْ مَائِدَةً مِنَ

السَّمَاءِ يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيَشْبَعُونَ بَعْدَ جُوعٍ وَيَنْعَمُونَ بَعْدَ  
عَنَاءٍ .

### ١٩ - سُوءُ أَدَبٍ

وَلَمْ يَكُونُوا مُتَأَدِّبِينَ فِي سُؤَالِهِمْ؛ فَقَالُوا: ﴿هَلْ  
يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾. وَلَمَّا  
يُعْجِبُ عِيسَى سُؤَالَهُمْ، وَكَرِهَ الْأُسْلُوبَ الَّذِي خَاطَبُوهُ  
بِهِ، وَالْأَنْبِيَاءُ جَمِيعاً يُطَالِبُونَ أُمَّهَتَهُم بِالْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ،  
وَيُكَلِّفُونَهَا إِيَّاهُ، وَلَيْسَتْ الْمُعْجِزَاتُ مَخَارِيقَ يَسْلُو بِهَا  
الْأَطْفَالُ وَيَلْهُو بِهَا الْأَغْمَارُ، إِنَّمَا هِيَ آيَاتٌ مِنَ اللَّهِ  
يُظْهِرُهَا عَلَى أَيْدِي أَنْبِيَائِهِ حِينَ يَشَاءُ، وَتَقُومُ بِهَا حُجَّةُ اللَّهِ  
عَلَى الْعِبَادِ، فَلَا يُمَهِّلُونَ بَعْدَ ظُهُورِهَا وَإِنْكَارِهَا .

### ٢٠ - تَحْذِيرُ قَوْمِهِ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ

لِذَلِكَ خَافَ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِمُ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ سُوءِ  
الْعَاقِبَةِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ امْتِحَانِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ أَعْلَى  
وَأَجَلُّ مِنْ ذَلِكَ .

## ٢١ - إِيْحَاحٌ وَإِصْرَارٌ

وَلَكِنَّ الْحَوَارِيَّيْنَ تَشَبَّهُتُوا بِسُؤَالِهِمْ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ جَادُّونَ فِي هَذَا السُّؤَالِ، لَا يَقْصِدُونَ امْتِحَانًا إِنَّمَا يُرِيدُونَ اطمِئْنَانًا، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ ذِكْرًا لِلْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ، وَقِصَّةٌ تُحْكِي وَتُرَوَّى عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ، فَتَكُونَ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ هَذَا الدِّينِ، وَمَنْزِلَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّلِينَ وَالْحَوَارِيَّيْنَ الصَّادِقِينَ.

## ٢٢ - الْقُرْآنُ يَحْكِي الْقِصَّةَ

وَدَعُوا الْقُرْآنَ يَحْكِي هَذِهِ الْقِصَّةَ:

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَحْيَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نَزِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ



اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا  
لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ .

### ٢٣ - الْيَهُودُ يُحَاوِلُونَ التَّخْلُصَ مِنْ سَيِّدِنَا عِيسَى

وَعِيلَ صَبْرُ الْيَهُودِ، وَفَاضَتْ كَأْسُ عِدَائِهِمْ وَعِنَادِهِمْ،  
فَأَرَادُوا التَّخْلُصَ مِنْ سَيِّدِنَا عِيسَى، فَرَفَعُوا قَضِيَّتَهُ إِلَى  
الْحَاكِمِ الرُّومِيِّ وَقَالُوا: إِنَّهُ رَجُلٌ ثَائِرٌ فَوْضَوِيٌّ، مَرَقَ  
مِنْ دِينِنَا، وَاسْتَهْوَى شَبَابِنَا، فَفْتِنُونَا بِهِ، وَفَرِّقْ أَمْرَنَا،  
وَسَفِّهِ أَحْلَامَنَا وَشَغَلْ بَالَنَا.

### ٢٤ - أُسْلُوبُ النَّاقِمِينَ وَالسِّيَاسِيِّينَ

وَهُوَ خَطَرٌ عَلَى الدَّوْلَةِ، لَا يَخْضَعُ لِنِظَامٍ، وَلَا يَتَّقِيْدُ  
بِقَانُونٍ، وَلَا يُعْظَمُ عَظِيمًا، وَلَا يُقَدَّسُ قَدِيمًا، وَهُوَ  
رَجُلٌ ثَوْرِيٌّ، إِذَا لَمْ يُكَفَّ شَرُّهُ فَإِنَّهُ يَتَفَاقَمُ، وَلَا تُسْتَصَغَرُ  
الشَّرَارَةُ مَهْمَا كَانَتْ تَافِهَةً.

## ٢٥ - مَكْرٌ وَدَهَاءٌ

وَكَانَ كَلَاماً مَمْلُوءاً بِالْمَكْرِ وَالْدَهَاءِ، مَضْبُوعاً  
بِالصَّبْغَةِ السِّيَاسِيَّةِ، وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ الْجَانِبَ الدِّينِيَّ لَا  
يُشِيرُ الْحُكَّامَ وَلَا يُهَيِّجُهُمْ، فَقَدْ كَانَ مِنْ سِيَاسَتِهِمْ أَنْ لَا  
يَتَدَخَّلُوا فِي أُمُورِ الْيَهُودِ الدِّينِيَّةِ، وَلِذَلِكَ خَلَطُوا الْكَلَامَ  
بِالسِّيَاسَةِ.

## ٢٦ - مُشْكَلَةٌ

وَكَانَ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ يَتَحَقَّقَ الْحُكَّامُ الْأَجَانِبُ  
الْمَشْرِكُونَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ، وَيَعْرِفُوا أَغْرَاضَ الْيَهُودِ،  
وَسَبَبَ عِدَائِهِمْ لِلْمَسِيحِ، وَكَانُوا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنْ  
ذَلِكَ بِالأُمُورِ الْإِدَارِيَّةِ، وَلَكِنْ اشْتَدَّ إِحْسَاسُ الْيَهُودِ، وَطَالَ  
تَرَدُّدُهُمْ إِلَيْهِمْ، فَأَرَادُوا التَّخَلُّصَ مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الَّتِي  
أَصْبَحَتْ حَدِيثَ الْبَلَدِ.

## ٢٧ - سَيِّدُنَا الْمَسِيحُ فِي الْمَحْكَمَةِ

وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ لَيْلَةَ السَّبْتِ،

وَكَانَ الْيَهُودَ لَا يَعْمَلُونَ شَيْئاً يَوْمَ السَّبْتِ، وَكَانَ يَوْمَ  
عُظْلَةٍ وَكَفَّ عَنِ الْعَمَلِ، فَكَانُوا حَرِيصِينَ كُلَّ الْحَرْصِ  
عَلَى أَنْ يَصْدَرَ الْحُكْمُ قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ شَمْسُ يَوْمِ  
الْجُمُعَةِ، وَيَسْتَرِيحُوا مِنْ أَمْرِ الْمَسِيحِ، فَيَنَامُوا هَادِي  
الْبَالِ، وَيُضْبِحُوا نَاعِمِي الْبَالِ لَا يُزْعِجُهُمْ شَيْءٌ.

وَقَدْ ضَاقَ الْحَاكِمُ بِالْقَضِيَّةِ ذُرْعاً، وَلَيْسَتْ لَهُ فِيهَا  
رَغْبَةٌ، وَلَا لِأُمَّتِهِ فِيهَا مَصْلَحَةٌ، وَقَدْ احْتَشَدَ الْيَهُودُ  
لِسَمَاعِ الْحُكْمِ، وَهُمْ بَيْنَ صَائِحٍ وَهَاتِفٍ، وَمُتَنَدِّرٍ  
وَمُتَهَكِّمٍ، وَالْحَاكِمُ مُتَضَائِقٌ وَالْوَقْتُ قَصِيرٌ، وَالشَّمْسُ قَدْ  
مَالَتْ لِلْغُرُوبِ، فَأَصْدَرَ الْحُكْمَ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ صَلْباً.

## ٢٨ - الْقَانُونُ الْجِنَائِيُّ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ

وَكَانَ الْقَانُونُ الْجِنَائِيُّ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ يُوجِبُ أَنْ  
يَحْمَلَ الْمَحْكُومُ عَلَيْهِ بِالشَّنْقِ صَلِيبَهُ الَّذِي يُصَلَّبُ عَلَيْهِ،  
وَكَانَ الْمَشْنَقُ بَعِيداً كَمَا هِيَ الْعَادَةُ فِي الْبِلَادِ الْمُتَمَدِّنَةِ،  
وَكَانَ الْجَمْعُ حَاشِداً يَتَسَاقُطُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَكَانَ

رِجَالُ الشَّرْطَةِ - وَأَكْثَرُهُمْ مِنَ الْأَجَانِبِ - مَأْمُورِينَ مُوظَّفِينَ  
 لَا رَغْبَةَ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، وَكَانَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ أَشْبَاهًا  
 عِنْدَهُمْ يَلْتَبِسُ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُمْ، فَلَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَهُمْ، شَأْنُ  
 الْأَجَانِبِ فِي نَظَرِ الْأَجَانِبِ، وَكَانَ الْوَقْتُ مَسَاءً قَدْ مَدَّ  
 الظَّلَامُ رِوَاقَهُ، وَكَانَ بَعْضُ الْيَهُودِ وَالْمُتَحَمِّسِينَ السُّفَهَاءِ  
 مِنَ الشَّبَابِ يَنْهَالُونَ عَلَى السَّيِّدِ الْمَسِيحِ، وَيَتَدَاْفَعُونَ  
 عَلَيْهِ، يَسُبُّونَهُ، وَيُعَيِّرُونَهُ، وَيُرِيدُونَ إِذَاءَهُ وَإِهَانَتَهُ.

### ٢٩ - عِيسَى يَتَحَمَّلُ الْأَذَى

وَكَانَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ لَا غِيَاءَ، قَدْ أَضْنَاهُ الْجَهْدُ، وَطُولُ  
 الْوُقُوفِ فِي الْمَحْكَمَةِ وَتَحَمُّلُ الْأَذَى، وَكَانَ الصَّلِيبُ  
 ثَقِيلًا، وَقَدْ كَلَّفَ حَمْلَهُ، فَكَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسْرَعَ فِي  
 الْمَشْيِ.

### ٣٠ - تَذْبِيرُ إِلَهِيٍّ

وَهُنَا أَمَرَ الشَّرْطِيُّ الْمُوَكَّلُ بِهِ شَابًّا إِسْرَائِيلِيًّا بِحَمْلِ  
 الْعُودِ، وَكَانَ أَشَدَّ زُمَلَاءِهِ حِمَاسَةً وَأَكْبَرَهُمْ سَفَاهَةً،

وَأُخْرِصَهُمْ عَلَى إِذَاءِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَمُبَادَرَةٍ إِلَيْهِ، حَتَّى  
يَنْتَهَى الْأَمْرُ سَرِيعاً، وَيَتَخَلَّصَ مِنْ هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةِ  
الْمُرْهَقَةِ.

### ٣١ - وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ

وَهَكَذَا وَصَلَ الْمُؤَكِّبَ إِلَى بَابِ الْمَشْنَقِ، فَتَقَدَّمَ  
شُرْطَةُ الْمَشْنَقِ، وَتَسَلَّمُوا الْأَمْرَ مِنَ الشُّرْطَةِ الْمَدْنِيِّينَ،  
وَرَأَوْا الشَّابَّ يَحْمِلُ الصَّلِيبَ، وَاخْتَلَطَ الْحَامِلُ بِالنَّابِلِ،  
وَكَثُرَ الضَّجِيجُ، فَأَخَذُوا بِيَدِ الشَّابِّ الْحَامِلِ لِلصَّلِيبِ،  
وَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي أَنَّهُ هُوَ الْمَحْكُومُ عَلَيْهِ بِالصَّلْبِ،  
وَهُوَ يَصِيحُ، وَيَضِجُ، وَيُعْلِنُ بَرَاءَتَهُ وَأَنَّهُ لَا شَأْنَ لَهُ  
بِالْحُكْمِ وَالصَّلْبِ، وَإِنَّمَا كُلفَ حَمْلَ الْعُودِ سُخْرَةً  
وِظُلْمًا، وَشُرْطَةُ الْمَشْنَقِ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى ذَلِكَ، وَلَا  
يَفْهَمُونَ لُغَتَهُ، لِأَنَّهُمْ مِنَ الرُّومِ وَالْيُونَانِ الْأُمَّةِ الْحَاكِمَةِ.

### ٣٢ - تَنْفِيذُ حُكْمِ

وَكُلُّ مُجْرِمٍ يَتَنَصَّلُ مِنْ جَرِيمَتِهِ، وَكُلُّ مُجْرِمٍ لَهُ صِيَاخٌ

وَعَوِيلٌ، وَأَخَذُوهُ وَنَفَّذُوا فِيهِ الْحُكْمَ، وَالْيَهُودُ وَاقِفُونَ  
عَلَى بُعْدٍ، وَالدُّنْيَا لَيْلٌ وَظِلَامٌ، وَهُمْ يَظُنُّونَ كُلَّ الظَّنِّ أَنَّ  
الْمُضْلُوبَ هُوَ الْمَسِيحُ<sup>(١)</sup>.

### ٣٣ - رَفَعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ

أَمَّا سَيِّدُنَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَقَدْ نَجَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ  
كَيْدِ الْيَهُودِ وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ مُكْرَمًا مُطَهَّرًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا.

### ٣٤ - الْقُرْآنُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْقِصَّةِ

وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْيَهُودِ:

﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ۝١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ  
إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ  
وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ

(١) استندنا في تفاصيل هذه القصة والملابس والأجواء التي  
أحاطت بها إلى الوثائق المسيحية التاريخية والقانونية التي  
ظهرت ودوّنت في العصر الأخير.

مِنْ عِلْمٍ إِلَّا آتِبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَلُّوا يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ  
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ .

وَهُوَ فِي السَّمَاءِ كَمَا يُرِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ الْقَادِرُ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ كَانَتْ وَلادَتُهُ عَجَبًا، وَحَيَاتُهُ،  
وَأَمْرُهُ... مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ عَجَبٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ مُثَبَّتٌ  
لِلْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ.

### ٣٥ - نَزُولُ عِيسَى قَبْلَ الْقِيَامَةِ

وَسَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ حِينَ يُرِيدُهُ اللَّهُ، وَيُقِيمُ الْحُجَّةَ  
عَلَى مَنْ فَرَّطُوا فِيهِ وَأَفْرَطُوا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى،  
وَيَنْصُرُ الْحَقَّ، وَيَكْبِتُ أَهْلَ الْبَاطِلِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ  
نَبِيُّنَا ﷺ وَوَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ، وَالْأَحَادِيثُ  
الْمُتَوَاتِرَةُ، وَاعْتَقَدَهُ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ عَصْرِ،  
وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ.

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ  
الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ ﴿١٥٩﴾ .

### ٣٦ - بِشَارَتُهُ بِبَعْثَةِ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٍ ﷺ

وَلَمْ يُكْمِلْ سَيِّدُنَا الْمَسِيحُ مُهِمَّتَهُ فِي الدَّعْوَةِ لِشِدَّةِ  
مُحَارَبَةِ الْيَهُودِ وَكَيْدِهِمْ لَهُ، وَضَعْفِهِ وَقِلَّةِ أَنْصَارِهِ،  
فَوَدَّعَ النَّاسَ، وَامْتَثَلَ أَمْرَ رَبِّهِ، وَبَشَّرَ النَّاسَ بِرَسُولٍ  
يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ يُكْمِلُ مَا بَدَأَهُ، وَيُعَمِّمُ مَا خَصَّصَهُ،  
وَبِهِ تَتِمُّ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَتَقُومُ حُجَّتُهُ عَلَى  
خَلْقِهِ:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ  
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ  
أَحْمَدٌ﴾.

### ٣٧ - مِنَ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ إِلَى عَقِيدَةِ غَامِضَةٍ

وَمِنْ غَرَائِبِ تَارِيخِ الْأَذْيَانِ، وَمِمَّا تَدْمَعُ لَهُ الْعُيُونُ،  
وَتَذُوبُ لَهُ الْقُلُوبُ، أَنَّهُ تَحَوَّلَتْ دَعْوَةُ الْمَسِيحِ مِنَ  
التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، وَالَّذِينَ السَّهْلِ السَّائِغِ، الْبَعِيدِ عَنِ



كُلَّ غُمُوضٍ وَتَعْقِيدٍ، وَتَحْرِيفٍ وَتَأْوِيلٍ بَعِيدٍ، وَالذَّعْوَةَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَالسُّؤَالَ مِنْهُ، وَالْالْتِجَاءَ إِلَيْهِ، وَحُبَّهُ الْخَالِصَ، إِلَى عَقِيدَةٍ غَامِضَةٍ، وَفَلَسَفَةٍ مُعَقَّدَةٍ، فَغَلَا فِيهِ أَتْبَاعُهُ، وَأَظَرَوْهُ إِطْرَاءً خَرَجَ بِهِ مِنْ حُدُودِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى حُدُودِ الْأُلُوْهِيَّةِ، فَقَالُوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾. وَقَالُوا: ﴿أَتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وَقَالُوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وَجَعَلُوا مِنَ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، أُسْرَةً مُؤَلَّفَةً مِنْ ثَلَاثَةِ أَعْضَاءٍ، كُلُّهُمْ إِلَهٌ، فَقَالُوا: الْأَبُ وَالابْنُ وَرُوحُ الْقُدُسِ، وَاعْتَقَدُوا فِي مَرْيَمَ أُمِّ الْمَسِيحِ وَعَامَلُوهَا بِمَا يَبْلُغُ بِهَا إِلَى دَرَجَةِ التَّقْدِيسِ وَالْعِبَادَةِ، فَقَالُوا: «أُمُّ اللَّهِ» وَشَاعَتْ لَهَا تَمَازِيلُ وَصُورٌ فِي الْكِنَائِسِ، يَخْضَعُ لَهَا النَّصَارَى بِاللُّجُوءِ وَالذُّعَاءِ، وَالنَّذْرِ وَالْانْحِنَاءِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُنْكَرًا مَا اعْتَقَدُوهُ، مُسْتَبْشِعًا مَا فَعَلُوهُ.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ

كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ .

### ٣٨ - عيسى يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ

وَقَدْ دَعَا كَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ،  
فَجَاءَ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْإِنْجِيلِ:

«مَكْتُوبٌ لِلرَّبِّ إِلَهَكَ تَسْجُدُ، وَلَهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (مَتَّى ٤ : ١٠) وَقَوْلُهُ: «مَكْتُوبٌ لِلرَّبِّ إِلَهَكَ تَسْجُدُ وَلَهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (لوقا ٤ : ٨) .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ .

### ٣٩ - الْقُرْآنُ يُصَرِّحُ بِدَعْوَةِ عِيسَى

وَقَدْ نَقَلَ الْقُرْآنُ - وَهُوَ الْكِتَابُ الْمُصَدِّقُ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَالْمَهَيِّمُنُ عَلَيْهِ - مِنْ إِعْلَانِ سَيِّدِنَا عِيسَى بِالتَّوْحِيدِ  
الْخَالِصِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، فِي أُسْلُوبٍ صَرِيحٍ وَاضِحٍ لَا  
مَزِيدَ عَلَيْهِ.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ  
مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ  
إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ  
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

### ٤٠ - مَنَزَلَةُ التَّوْحِيدِ فِي دَعْوَتِهِ

وَقَالَ فِي أُسْلُوبٍ جَمِيلٍ بَلِيغٍ يَتَذَوَّقُهُ كُلُّ مَنْ عَرَفَ  
مَنَزَلَةَ التَّوْحِيدِ وَسِيرَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَمَا طُبِعُوا  
عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَالْخُضُوعِ لَهُ، وَالرَّهْبَةِ مِنْهُ:

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا  
الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ

فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٧﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ؕ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٨﴾

#### ٤١ - مَشْهَدٌ رَّائِعٌ مِّن مَّشَاهِدِ الْقِيَامَةِ

وَقَدْ صَوَّرَ الْقُرْآنُ فِي بِلَاغَتِهِ وَإِعْجَازِهِ مَشْهَدًا مِّن مَّشَاهِدِ الْقِيَامَةِ الرَّائِعَةِ يَتَبَرَّأُ فِيهِ سَيِّدُنَا عِيسَى عَمَّا تَقَوْلُهُ النَّاسُ فِيهِ، وَعَامَلُوهُ بِهِ، وَيُوضِّحُ دَعْوَتَهُ فِي قُوَّةٍ وَصِدْقٍ، وَيُدِينُ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْغُلَاةَ مِّنْ أُمَّتِهِ، وَأَنََّّهُمْ هُمُ الْمَسْئُولُونَ وَخُدَّاهُمْ عَنْ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ، اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، وَاسْتَشْعِرُوا جَلَالَ الْمَوْقِفِ وَرَوْعَةَ الْمَشْهَدِ:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِّن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٧٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ

إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا  
مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ  
فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ  
صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

## ٤٢ - مِنْ عَقِيدَةِ غَامِضَةٍ إِلَى وَثْنِيَّةٍ سَافِرَةٍ

وَانْتَقَلَ دُعَاءُ الْمَسِيحِيَّةِ إِلَى أَوْرُبَا بَدَافِعٍ مِنْ عِنْدِهِمْ<sup>(١)</sup>  
وَقَدْ شَاعَتْ فِيهَا الْوَثْنِيَّةُ السَّافِرَةُ مِنْ زَمَانٍ، وَغَاصَتْ فِيهَا  
إِلَى الْأَذْقَانِ، فَكَانَ الْيُونَانُ وَثْنِيَّيْنِ، وَقَدْ تَصَوَّرُوا  
صِفَاتِ اللَّهِ فِي شَكْلِ آلِهَةٍ شَتَّى، نَحَثُوا لَهَا تَمَاثِيلَ،

(١) لأن المسيح لم يأمرهم بذلك، وقد صرَّح بأنه أرسل لخراف  
إسرائيل الضالة.

وَبَنَوْا لَهَا مَعَابِدَ وَهَيَاكِلَ، فَلِلرُّزْقِ إِلَهٌ، وَلِلرَّحْمَةِ إِلَهٌ،  
وَلِلْقَهْرِ إِلَهٌ، وَكَانَتْ رُومِيَّةٌ عَرِيقَةً فِي الْوَثْنِيَّةِ وَالتَّمَسُّكِ  
بِالْخُرَافَاتِ، وَقَدْ امْتَزَجَتْ الْوَثْنِيَّةُ بِلَحْمِهَا وَدَمِهَا،  
وَجَرَتْ مِنْهَا مَجْرَى الرُّوحِ وَالْدَّمِ.

وَكَانَ الرُّومَانُ يَعْبُدُونَ آلِهَةً شَتَّى، فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِمُ  
النَّصْرَانِيَّةُ، وَتَنَصَّرَ قُسْطَنْطِينُ الْكَبِيرُ سَنَةَ ٣٠٦ وَاحْتَضَنَ  
الدِّينَ الْجَدِيدَ، وَتَبَنَاهُ وَجَعَلَهُ دِينَ الدَّوْلَةِ الرَّسْمِيِّ، بَدَأَتْ  
النَّصْرَانِيَّةُ تَأْخُذُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ مِنَ الْعَقَائِدِ الْوَثْنِيَّةِ وَالتَّقَالِيدِ  
الرُّومِيَّةِ، وَالْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ، وَتَدْنُوا إِلَيْهَا رُويْدًا رُويْدًا،  
وَصَارَتْ تَفْقِدُ أَصَالَتَهَا النَّبَوِيَّةَ، وَبَسَاطَتَهَا الشَّرْقِيَّةَ،  
وَحِمَاسَاتِهَا التَّوْحِيدِيَّةَ، وَدَخَلَ فِيهَا بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ،  
فَطَعَمُوهَا بِعَقَائِدِهِمُ الْقَدِيمَةِ، وَذَوَّقَهُمُ الْوَثْنِيَّ، وَنَشَأَ مِنْ  
ذَلِكَ دِينٌ جَدِيدٌ، تَتَجَلَّى فِيهِ النَّصْرَانِيَّةُ وَالْوَثْنِيَّةُ سَوَاءً  
بِسَوَاءٍ.

وَكَذَلِكَ سَارَتْ النَّصْرَانِيَّةُ الرَّاحِفَةُ الْفَاتِحَةُ عَلَى دَرْبِ  
غَيْرِ الدَّرْبِ الَّذِي سَلَكَ الْمَسِيحُ بِهَا عَلَيْهِ، وَدَعَا إِلَيْهِ،

وَكَاثَتْ كَسَالِكُ طَرِيقٍ يَصِلُ عَنِ الطَّرِيقِ - عَنْ قَصْدٍ أَوْ  
عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ - فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ فَيُؤَاصِلُ سَيْرَهُ عَلَى طَرِيقٍ  
لَا يَلْتَقِي بِالطَّرِيقِ الْأَوَّلِ إِلَى الْأَخِيرِ .

وَلِهَذِهِ الْحِكْمَةِ الدَّقِيقَةِ الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا مَنْ قَرَأَ  
تَارِيخَ هَذِهِ الدِّيَانَةِ، وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِالضَّلَالِ حِينَ وَصَفَ  
الْيَهُودَ بِالْمَغْضُوبَةِ، فَقَالَ عَلَى لِسَانِ الْمُسْلِمِينَ :

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ  
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ .

وَكَاثَتْ فِي ذَلِكَ مَأْسَاءٌ لِأُورُوبَا، وَمَأْسَاءٌ لِلْإِنْسَانِيَّةِ  
الَّتِي قَادَتْهَا أُورُوبَا زَمَانًا طَوِيلًا، وَلَا تَزَالُ مُسَيِّطَرَةً عَلَيْهَا  
وَمُتَحَكِّمَةً فِيهَا . ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ .







## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
للباحث الداعية الأستاذ سيد		١٢ - إِلَى مَكَّةَ .....	٢٠
قطب .....	٣	١٣ - بِئْرُ زَمَزَمَ .....	٢٢
المُقَدِّمَةُ .....	٧	١٤ - رُؤْيَا إِبْرَاهِيمَ .....	٢٢
مَنْ كَسَرَ الْأَضْنَامَ؟ .....	٩	١٥ - الْكَعْبَةُ .....	٢٤
١ - بَائِعُ الْأَضْنَامِ .....	٩	١٦ - يَثُ الْمَقْدِسِ .....	٢٥
٢ - وَلَدُ آزَرَ .....	١٠	أَحْسَنُ الْقَصَصِ .....	٢٧
٣ - نَصِيحَةُ إِبْرَاهِيمَ .....	١١	١ - رُؤْيَا عَجِيْبَةٍ .....	٢٧
٤ - إِبْرَاهِيمُ يَكْسِرُ الْأَضْنَامَ .....	١٢	٢ - حَسَدُ الْإِخْوَةِ .....	٢٨
٥ - مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ .....	١٣	٣ - وَقَدْ إِلَى يَعْقُوبَ .....	٣٠
٦ - نَارٌ بَارِدَةٌ .....	١٤	٤ - إِلَى الْغَابَةِ .....	٣١
٧ - مَنْ رَبِّي؟ .....	١٥	٥ - أَمَامَ يَعْقُوبَ .....	٣٢
٨ - رَبِّي اللَّهُ .....	١٦	٦ - يَوْشُفُ فِي الْبَيْرِ .....	٣٣
٩ - دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ .....	١٧	٧ - مِنَ الْبَيْرِ إِلَى الْقَصْرِ ..	٣٤
١٠ - أَمَامَ الْمَلِكِ .....	١٨	٨ - الْوَفَاءُ وَالْأَمَانَةُ .....	٣٥
١١ - دَعْوَةُ الْوَالِدِ .....	٢٠	٩ - مَوْعِظَةُ السَّجْنِ .....	٣٦

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
١٠ - حِكْمَةُ يُوسُفَ .....	٣٨	١ - بَعْدَ آدَمَ .....	٦٢
١١ - مَوْعِظَةُ التَّوْحِيدِ .....	٣٩	٢ - حَسَدُ الشَّيْطَانِ .....	٦٣
١٢ - تَأْوِيلُ الرُّؤْيَا .....	٤١	٣ - فِكْرَةُ الشَّيْطَانِ .....	٦٣
١٣ - رُؤْيَا الْمَلِكِ .....	٤٢	٤ - حِيلَةُ الشَّيْطَانِ .....	٦٤
١٤ - الْمَلِكُ يُرْسِلُ إِلَى		٥ - صُورُ الصَّالِحِينَ .....	٦٥
يُوسُفَ .....	٤٣	٦ - مِنَ الصُّورِ إِلَى التَّمَاثِيلِ	٦٦
١٥ - يوسُفُ يَسْأَلُ التَّفْتِيشَ	٤٤	٧ - مِنَ التَّمَاثِيلِ إِلَى الْأَصْنَامِ	٦٦
١٦ - عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ .	٤٥	٨ - غَضَبُ اللَّهِ .....	٦٧
١٧ - جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ...	٤٧	٩ - الرَّسُولُ .....	٦٨
١٨ - بَيْنَ يوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ..	٤٩	١٠ - بَشَرٌ أُمَ مَلَكٌ .....	٦٩
١٩ - بَيْنَ يَعْقُوبَ وَأَبْنَائِهِ ..	٥٠	١١ - نُوحُ الرَّسُولُ .....	٧٠
٢٠ - بَنِيَامِينَ عِنْدَ يُوسُفَ ..	٥١	١٢ - مَاذَا أَجَابَهُ الْقَوْمُ؟ ..	٧١
٢١ - إِلَى يَعْقُوبَ .....	٥٤	١٣ - بَيْنَ نُوحٍ وَقَوْمِهِ .....	٧٢
٢٢ - يَظْهَرُ السِّرُّ .....	٥٦	١٤ - اتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ .....	٧٣
٢٣ - يوسُفُ يُرْسِلُ إِلَى		١٥ - حُجَّةُ الْأَغْنِيَاءِ .....	٧٤
يَعْقُوبَ .....	٥٨	١٦ - دَعْوَةُ نُوحٍ .....	٧٥
٢٤ - يَعْقُوبُ عِنْدَ يوسُفَ .	٥٩	١٧ - دَعَاءُ نُوحٍ .....	٧٧
٢٥ - حُسْنُ الْعَاقِبَةِ .....	٦٠	١٨ - السَّفِينَةُ .....	٧٨
سَفِينَةُ نُوحٍ .....	٦١	١٩ - الطُّوفَانُ .....	٧٩

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
٢٠ - ابْنُ نُوحٍ .....	٨٠	٤ - صَالِحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ	
٢١ - لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ .....	٨١	وَالسَّلَامُ .....	٩٩
٢٢ - بَعْدَ الطُّوفَانِ .....	٨٢	٥ - دَعْوَةُ صَالِحٍ .....	١٠١
العاصِفَةُ .....	٨٣	٦ - دِعَايَةُ الْأَغْنِيَاءِ .....	١٠٢
١ - بَعْدَ نُوحٍ .....	٨٣	٧ - قَدْ أَخْطَأَ ظَنُّنَا .....	١٠٣
٢ - كُفْرَانُ عَادٍ .....	٨٤	٨ - نَصِيحَةُ صَالِحٍ .....	١٠٤
٣ - عُذْوَانُ عَادٍ .....	٨٥	٩ - مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ	١٠٥
٤ - قُصُورُ عَادٍ .....	٨٦	١٠ - نَاقَةُ اللَّهِ .....	١٠٥
٥ - هُوْدُ الرُّسُولِ .....	٨٧	١١ - النَّوْبَةُ .....	١٠٦
٦ - دَعْوَةُ هُوْدٍ .....	٨٨	١٢ - طُعْيَانُ ثَمُودَ .....	١٠٧
٧ - جَوَابُ الْقَوْمِ .....	٨٩	١٣ - الْعَذَابُ .....	١٠٨
٨ - حِكْمَةُ هُوْدٍ .....	٩٠	* * *	
٩ - إِيْمَانُ هُوْدٍ .....	٩١	١ - مِنْ كِنْعَانَ إِلَى مِصْرَ ..	١١٠
١٠ - عِنَادُ عَادٍ .....	٩٢	٢ - بَعْدَ يُوسُفَ .....	١١٢
١١ - الْعَذَابُ .....	٩٣	٣ - بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي مِصْرَ .	١١٤
نَاقَةُ ثَمُودَ .....	٩٦	٤ - فِرْعَوْنُ مِصْرَ .....	١١٥
١ - بَعْدَ عَادٍ .....	٩٦	٥ - ذَبْحُ الْأَطْفَالِ .....	١١٧
٢ - كُفْرَانُ ثَمُودَ .....	٩٧	٦ - وَلَادَةُ مُوسَى .....	١١٩
٣ - عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ .....	٩٨	٧ - فِي النَّيْلِ .....	١٢٠

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
٨ - في قَصْرِ فِرْعَوْنَ .....	١٢١	٢٦ - سَفَاهَةُ فِرْعَوْنَ .....	١٥٧
٩ - مَنْ يُرْضِعُ الطِّفْلَ ؟؟ ..	١٢٣	* * *	
١٠ - في حِجْرِ أُمِّهِ .....	١٢٥	١ - مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ .....	١٦٠
١١ - إِلَى قَصْرِ فِرْعَوْنَ ...	١٢٧	٢ - نَصِيحَةُ الرَّجُلِ .....	١٦٣
١٢ - الضَّرْبَةُ الْقَاضِيَةُ ....	١٢٨	٣ - زوج فرعون .....	١٦٦
١٣ - يَظْهَرُ السِّرُّ .....	١٣٠	٤ - مِحْنَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ...	١٦٩
١٤ - من مصر إلى مدين ..	١٣٣	٥ - الْمَجَاعَاتُ .....	١٧١
١٥ - في مَدِينٍ .....	١٣٤	٦ - خَمْسُ آيَاتٍ .....	١٧٤
١٦ - الطَّلَبُ .....	١٣٦	٧ - الْخُرُوجُ .....	١٧٧
١٧ - الزَّوْاجُ .....	١٣٨	٨ - غَرَقَ فِرْعَوْنَ .....	١٨٠
١٨ - إِلَى مِصْرَ .....	١٤٠	٩ - فِي الْبَرِّيَّةِ ! .....	١٨٣
١٩ - اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ		١٠ - كُفْرَانُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ..	١٨٥
طَعَى .....	١٤٢	١١ - عِنَادُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ...	١٨٧
٢٠ - أَمَامَ فِرْعَوْنَ .....	١٤٤	١٢ - الْبَقَرَةُ .....	١٨٨
٢١ - الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ ....	١٤٦	١٣ - الشَّرِيعَةُ .....	١٩١
٢٢ - مُعْجَزَاتُ مُوسَى ....	١٤٨	١٤ - التَّوْرَةُ .....	١٩٤
٢٣ - إِلَى الْمَيْدَانِ .....	١٥٠	١٥ - الْعِجْلُ .....	١٩٧
٢٤ - بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ..	١٥٢	١٦ - الْعِقَابُ .....	١٩٩
٢٥ - وَعِيدُ فِرْعَوْنَ .....	١٥٥	١٧ - جُبْنُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ...	٢٠٢

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
١٨ - في سبيل العلم .....	٢٠٥	١٢ - بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ	٢٢٢
١٩ - التَّأْوِيلُ .....	٢١٠	الأَوَّلُونَ .....	٢٢٢
٢٠ - بَنُو إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَى	٢١١	١٣ - عَاقِبَةُ أُمَّةٍ كَذَّبَتْ نَبِيَّهَا	٢٢٢
* * *		١٤ - بَلَغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى	
١ - نَظَرَةٌ عَلَى الْقَصَصِ		الأَمَانَةَ .....	٢٢٢
السَّابِقَةِ .....	٢١٣	* * *	
٢ - قِصَّةُ صِرَاعِ بَيْنِ الْحَقِّ		قِصَّةُ سَيِّدِنَا دَاوُدَ، وَسَيِّدِنَا	
وَالْبَاطِلِ .....	٢١٣	سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .....	٢٢٣
* * *		١ - الْقُرْآنُ يَتَحَدَّثُ عَنْ	
قِصَّةُ سَيِّدِنَا شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ...	٢١٥	آلَاءِ اللَّهِ .....	٢٢٣
٣ - وَإِلَى مَذِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا	٢١٥	٢ - نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى دَاوُدَ ..	٢٢٤
٤ - دَعْوَةُ شُعَيْبٍ .....	٢١٦	٣ - شُكْرُهُ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ	٢٢٥
٥ - أَبُ رَجِيمٍ وَمُعَلِّمٌ حَكِيمٌ	٢١٧	٤ - نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى سُلَيْمَانَ	٢٢٥
٦ - جَوَابُ قَوْمِهِ .....	٢١٨	٥ - فِقْهُ دَقِيقٌ وَعِلْمٌ عَمِيقٌ .	٢٢٦
٧ - شُعَيْبٌ يَشْرَحُ دَعْوَتَهُ ..	٢١٨	٦ - سُلَيْمَانُ يَعْرِفُ لُغَةَ الطَّيْرِ	
٨ - مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ	٢٢٠	وَالْحَيَوَانَ .....	٢٢٧
٩ - شُعَيْبٌ يَتَعَجَّبُ مِنْ قَوْمِهِ	٢٢٠	٧ - قِصَّةُ هُذَيْدٍ .....	٢٢٨
١٠ - السَّهْمُ الْأَخِيرُ .....	٢٢١	٨ - سُلَيْمَانُ يَدْعُو مَلَكَهَ سَبِيلَ	
١١ - حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ .....	٢٢١	إِلَى دِينِهِ .....	٢٢٨

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
٩ - الْمَلِكَةُ تَسْتَشِيرُ أَرْكَانَ	٢٣٩	٥ - يُونُسُ بَيْنَ قَوْمِهِ .....	٢٣٩
دَوْلَتِهَا .....	٢٢٩	٦ - يُونُسُ فِي بَطْنِ الْحَوَى	٢٤٠
١٠ - هَدِيَّةُ مُسَاوَمَةٍ .....	٢٣٠	٧ - وَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ .	٢٤١
١١ - الْمَلِكَةُ تَأْتِي خَاضِعَةً .	٢٣١	* * *	
١٢ - قَصْرٌ عَظِيمٌ مِنْ زُجَاجٍ	٢٣١	قِصَّةُ سَيِّدِنَا زَكَرِيَّا ؑ ...	٢٤٣
١٣ - وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ		١ - دُعَاءُ زَكَرِيَّا لِوَلَدٍ صَالِحٍ	٢٤٣
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .....	٢٣٢	٢ - نَذَرُ امْرَأَةٍ عِمْرَانَ .....	٢٤٤
١٤ - الْقُرْآنُ يَحْكِي قِصَّةَ		٣ - قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا	
سُلَيْمَانَ .....	٢٣٣	أُنْثَى .....	٢٤٤
١٥ - وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ		٤ - عِنَايَةَ اللَّهِ بِالْفَتَاةِ الصَّالِحَةِ	٢٤٥
الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا .....	٢٣٥	٥ - إِلَهَامًا مِنَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ	٢٤٦
* * *		٦ - بِشَارَةٌ وَلَدٍ .....	٢٤٧
قصة سيدنا أيوب وسيدنا		٧ - آيَاتُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ .....	٢٤٨
يونس ؑ .....	٢٣٧	٨ - يَحْيَى يَضْطَلِعُ بِأَعْبَاءِ	
١ - قِصَّةُ أَيُّوبَ نَمَطٌ آخَرٌ مِنْ		الدَّعْوَةِ .....	٢٤٨
الْقَصَصِ .....	٢٣٧	* * *	
٢ - صَبْرُ أَيُّوبَ .....	٢٣٨	قِصَّةُ سَيِّدِنَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ	
٣ - مِحنَةٌ وَمِنْحَةٌ .....	٢٣٨	عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ...	٢٥٠
٤ - قِصَّةُ يُونُسَ وَحِكْمَتِهَا .	٢٣٩	١ - قِصَّةُ خَارِقَةِ اللَّعَادَةِ ...	٢٥٠

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
٢ - أَمْرُ كُلِّهِ عَجَبٌ .....	٢٥١	١٥ - إِيْمَانُ عَامَّةِ النَّاسِ	
٣ - خُضُوعُ الْيَهُودِ لِلْأَسْبَابِ		وَفَقْرَائِهِمْ .....	٢٦١
الظَّاهِرَةِ .....	٢٥٢	١٦ - نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ .....	٢٦١
٤ - اسْتِخْفَافٌ وَتَمَرُّدٌ .....	٢٥٣	١٧ - سِيَّاحَةٌ وَدَعْوَةٌ .....	٢٦٢
٥ - نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى بَنِي		١٨ - الْحَوَارِيُّونَ يَطْلُبُونَ	
إِسْرَائِيلَ .....	٢٥٤	مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ .....	٢٦٢
٦ - نُكْرَانُ لِلْجَمِيلِ .....	٢٥٤	١٩ - سُوءُ أَدَبٍ .....	٢٦٣
٧ - زَهُوٌّ وَإِذْلَالٌ .....	٢٥٥	٢٠ - تَحْذِيرُ قَوْمِهِ مِنْ سُوءِ	
٨ - وَلَادَةُ الْمَسِيحِ تَتَحَدَّى		الْعَاقِبَةِ .....	٢٦٣
الْمَحْسُوسَ الْمَعْرُوفَ ..	٢٥٥	٢١ - إِحْاحٌ وَإِضْرَارٌ .....	٢٦٤
٩ - مُعْجَزَاتُ الْمَسِيحِ .....	٢٥٦	٢٢ - الْقُرْآنُ يَحْكِي الْقِصَّةَ .	٢٦٤
١٠ - دَعْوَتُهُ إِلَى الدِّينِ		٢٣ - الْيَهُودُ يُحَاوِلُونَ	
وَتَكْذِيبُهُ الْيَهُودَ .....	٢٥٧	التَّخْلَصَ مِنْ سَيِّدِنَا عِيسَى	٢٦٥
١١ - الْيَهُودَ يَنْصُوبُونَ لَهُ		٢٤ - أُسْلُوبُ النَّاقِمِينَ	
الْحَرْبَ .....	٢٥٧	وَالسِّيَاسِيِّينَ .....	٢٦٥
١٢ - قِصَّةُ عِيسَى فِي الْقُرْآنِ	٢٥٨	٢٥ - مَكْرٌ وَدَهَاءٌ .....	٢٦٦
١٣ - سِيرَتُهُ وَدَعْوَتُهُ فِي		٢٦ - مُشْكِلَةٌ .....	٢٦٦
الْقُرْآنِ .....	٢٦٠	٢٧ - سَيِّدُنَا الْمَسِيحُ فِي	
١٤ - صِرَاعٌ قَدِيمٌ .....	٢٦٠	الْمَحْكَمَةِ .....	٢٦٦

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
٢٨ - القانونُ الجنائيُّ في		٣٧ - مِنَ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ	
ذَلِكَ الْعَصْرِ .....	٢٦٧	إِلَى عَقِيدَةِ غَامِضَةٍ .....	٢٧٢
٢٩ - عِيسَى يَتَحَمَّلُ الْأَذَى	٢٦٨	٣٨ - عِيسَى يَدْعُو إِلَى	
٣٠ - تَذْيِيرٌ إِلَهِيٌّ .....	٢٦٨	عِبَادَةِ اللَّهِ وَخُدَّه .....	٢٧٤
٣١ - وَلَكِنْ شُبَّةٌ لَهُمْ .....	٢٦٩	٣٩ - الْقُرْآنُ يُصْرِّحُ بِدَعْوَةِ	
٣٢ - تَنْفِيذُ حُكْمٍ .....	٢٦٩	عِيسَى .....	٢٧٥
٣٣ - رَفَعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ	٢٧٠	٤٠ - مَنْزِلَةُ التَّوْحِيدِ فِي	
٣٤ - الْقُرْآنُ يَتَحَدَّثُ عَنِ		دَعْوَتِهِ .....	٢٧٥
الْقِصَّةِ .....	٢٧٠	٤١ - مَشْهَدٌ رَائِعٌ مِنْ مَشَاهِدِ	
٣٥ - نُزُولُ عِيسَى قَبْلَ		الْقِيَامَةِ .....	٢٧٦
الْقِيَامَةِ .....	٢٧١	٤٢ - مِنَ عَقِيدَةِ غَامِضَةٍ إِلَى	
٣٦ - بَشَارَتُهُ بِبَعْثَةِ سَيِّدِنَا		وَتَيْنِيَّةِ سَافِرَةٍ .....	٢٧٧
مُحَمَّدٍ ﷺ .....	٢٧٢	* فهرس الموضوعات ...	٢٨١

مكتبة دار الفکر  
دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع  
بغداد - العراق

٩٢٤  
١٠٢٢١